الأعلام من الأدباء والشعراء

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

الخوارج

تاريخهم وأدبهم

إعداد
علي جفال

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

لا شكَّ أنّ القارىء العربيّ بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الاطِّلاع على تراثه الفكريِّ العظيم المتمثِّل بالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام وغيرِ ذلك من ميادين الثقافة والمعرفة.

وبما أن تحصيل هذه المعرفة الموسوعية المتكاملة لا يكادُ يُتاحُ إلّا لأفراد قلائل من ذوي العقول المتميِّزة والبصائر المتوقِّدة، كان لا بدَّ لنا من تقديم هذا التراث بشكلٍ مختصرٍ وجامِعٍ في الوقت نفسهِ، بحيث يوافق هذا الإطارُ المقْتَرَحُ أكثريةَ القرّاء العرب، وخاصة طلابَ المراحل الثانوية والجامعية. فكانت هذه السلسلةُ عن أعلام الأدب من نثر وشعر، تولّى كتابتها مجموعةٌ من الاختصاصيين الذين تَحرّوا فيها السلاسةَ في الأسلوب والعمقَ في التحليل والاختصارَ في المعلومات، بما يحقّق الهدفَ المنشودَ من إصدارها.

كما نشير إلى أننا ـ بالإضافة إلى هذه السلسلة التي بين يديك عن أعلام الأدباء والشعراء ـ أصدرنا، وسنصدر تباعاً إن شاء الله مجموعاتٍ أخرى عن أعلام الفكر العربي والغربي في مختلف الميادين المعرفية، بنفس الأسلوب والمنهج اللذين اتبعناهما في إصدار هذه السلسلة. والله من وراء القصد.

الأعلام من الأدباء والشعراء



الخوارج

تاريخهم وأدبهم

إعداد

علي جفال

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد . . . . . .

إن النتاج الأدبي لأي أمة من الأمم - ماضياً وحاضراً - هو أحد أشكال التعبير عن الذات في هذه الأمة. هذا التعبير الذي نستطيع من خلاله معاينة المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي لتلك الأمة في مرحلة من مراحل نشوئها وتطورها.

ثم إن هذا النتاج هو بعض ثمار الماضي لمستوى تلك الأمة الحضاري في لحظة من لحظات وجودها، كما أنه يشكل البذرة الأساسية لما سوف تنتجه في المستقبل؟ ذلك أن العلاقة بين القديم والجديد، في الأدب كما في الحياة، هي علاقة تواصل وترابط، لا علاقة انفكاك وانقطاع، رغم

ما يظهر ـ وهذا أمر طبيعي ـ من تمايز في درجة الإبداع والتطور من جهة، أو التراجع والانحطاط من جهة أخرى.

إن نتاجنا الأدبي، الذي يمتد إلى حوالي مئة وخمسين سنة قبل ظهور الإسلام وحتى اليوم، يشكل سلسلة مترابطة الحلقات، فيها السمين، وفيها الغث، ولكنها جميعاً مشدودة إلى بعضها البعض بأمتن العلاقات وأوثقها.

من هنا كانت الغاية من اعداد هذه الدراسة عن «الخوارج وأدبهم» وهي تقديم ما يفي بغرض التعرف إلى هذه الفرقة الإسلامية وأدبها، شعراً ونثراً، من خلال التعرف على عصر أتباعها وتاريخهم السياسي وأهم أدبائهم ومعرفة خائص هذا الأدب العامة، معزّزة بشواهد من آثارهم الأدبية، متوخين في كل ذلك الموضوعية في البحث والتحليل، والأمانة العلمية في الاستفادة من المؤلفات والكتب التي تناولت تاريخهم وأدبهم وأخبارهم، والله ولي التوفيق.

أولاً: نظرة في التاريخ الإسلامي حتى ظهور الخوارج.

١ - زمن الرسول ﷺ انتصار الدعوة.

مرَّت احدى وعشرون سنة من المجاهدة المتصلة بين النبي وبين مشركي مكة، ومن آزرهم من القبائل، استُعملت فيها كافة أنواع السلاح من الكلمة إلى الآية المنزلة فالحديث الشريف وانتهاء بالسيف، إلى أنْ انتصرت الدعوة الإسلامية وعمت الحجاز من أقصاه إلى أقصاه، ودخل المسلمون مكة محطِّمين أصنامَها، فارضين على قبائلها شهادة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» والنبي الكريم يقف في معشر قريش قائلاً لهم: «ماترونني فاعلٌ بكم؟» ويجيبون: «خيراً، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم» فيرد عليهم: «اذهبوا فأنتم الطلَقاء».

ولم يطل المقام بالنبي ﷺ بعد ذلك، إذ سرعان ما التحق بباريه، وسط ذهول الصحابة والمسلمين وعدم تصديقهم النبأ، حتى ان عمر بن الخطاب وقف في المسجد ليعلن أن النبي لم

يمت وأنه إنما غاب كغيبة موسى بن عمران الذي عاد إلى أهله بعد أربعين يوماً، فينبري إذّاك أبو بكر الصديق قائلاً بجرأة وإيمان: «. . . . . . . مَن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت».

مات الرسول مخلفاً في المسلمين تراثاً فكرياً هائلاً تمثل بالقرآن الكريم، وبحديثه وسنته الشريفين، تاركاً لهم مهماتٍ جساماً تمثلت بإقامة الدولة الإسلامية، وترسيخ أسسها الجديدة ونشر مبادئها في عالم مليء بالمصاعب والتناقضات.

ولم يخلُ عصر النبي من حركات احتجاجٍ فردية كالتي يرويها بعض المؤرخين ومفادها أن رجلاً وقف على رسول الله وهو يقسم غنائم خيبر، فقال: «لمْ تعدلْ يا رسول الله» فغضب الرسول وقال له: «ويحك، فَمن يعدلْ إذا لم أعدلْ؟» وقال أيضاً بعدها: «لو قُتلَ هذا ما اختلف اثنان في دين الله» ويروى في موضع آخر أن الرسول قال: «إنه سيكون من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

٢ ـ زمن الخليفة الأول: إرهاصات الخروج على الخلافة.

وهكذا وبينما الصحابة وأولو الأمر والرأي من قريش ينصرفون بكليتهم إلى الاهتمام، بجثمان النبي بعد وفاته، إذ تداعى الأنصار ـ وهم الذين نصروه بعد خروجه من مكة إلى المدينة مهاجراً ـ إلى سقيفة بني ساعدة بهدف اعلان البيعة لأحد وجوههم: «سعد بن عبادة» فما كان من أبي بكر الصّديق، وعمر بن الخطاب، ومَن صادفاه في طريقهما إلى مكان الاجتماع إلا أن أسرعوا يحثون الخطى قبل تفاقم الأمور ووقوع ما لا تُحمد عُقباه من خلاف بين المهاجرين والأنصار على خلافة المسلمين.

وبعد مجادلات ومناظرات طويلة تمت البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فأصبح خليفة النبي ﷺ باعتراف كل الصحابة رغم محاولات بذر الشقاق التي قام بها أمثال أبي سفيان ـ والد معاوية ـ الذي حاول تحريض علي بن أبي طالب على عدم البيعة لأبي بكر بحجة أنه ـ أي علي ـ أحق

المقدَّس فيها[1].

لقد ظلت خطبة أبي بكر الأولى بعد تولّيه الخلافة دستوراً للعلاقة الحكيمة التي يجب أن تقوم بين الحاكم والرعية حيث يقول: «أيها الناس، إني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإنْ أحسنتُ فأعينوني، وإنْ أسأتُ فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيفُ فيكم قوي عندي حتى أُريح عليه حقه إن شاء الله، والقويُّ منكم ضعيف عندي حتى آخُذَ الحقَّ منه إن شاء الله .... أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه، فإن عصيتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم».

ولكنَّ الأمور سارت باتجاه آخر، إذ أن أعداء الإسلام كانوا بالمرصاد، فما أن شاع خبرُ وفاة الرسول حتى عصفت بالبلاد رياحُ الردة القاسية والتي حملت في مضامينها احتجاجاً على دفع الزكاة واقراراً بإقامة الصلاة، حيث يروى عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: «نزل عمرو بن العاص منصرفَه[2] من عمان بعد وفاة الرسول بقُرَّة بنِ هُبَيْرة بنِ سَلَمَة، وحوله عسكر من بني عامر من افنائهم فقال لعمرو: يا عمرو، إن العربَ لا تطيبُ لكم نفْساً بالإتاوة (الزكاة) فإنْ

(١) راجع الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة ج١ (ص٣٠).
(٢) منصرفه: ساعة انصرافه.

أنتم اعفيتُموها من أخذِ أموالها فتسمع لكم وتـطيع، وأن أبيتمْ فلا أرى أن تجتمعَ عليكم».

وقد جاءت الوفود إلى أبي بكر بذلك، ومنهم بنو أسد، وغطفان وطيء الذين يقول شاعرهم عبد الله الليثي (١)

أطعْنا رسولَ الله ما كان بيننَا
فيـا لعبـادِ الله مـا لأبي بَكـرِ؟
أيُورِثُها بَكْراً، إذا ماتَ بعدهُ؟
وتلكَ لعمرِ الله قـاصمـة الظهـرِ

وامتدت الردة إلى اليمن وحضرموت وعُمان ومهرة واليمامة والبحرين وسواها من الأقطار التي ظهر فيها أدعياء النبوة من أمثال: الأسود العنسي، وطليحة والفجاءة وسُجاح ومسيلمة الملقب بالكذاب، أو قادة القبائل من أمثال: لقيط بن مالك الأزدي، وعمرو بن معـديكـرب.

لقد خاض المسلمون بقيادة أبي بكر الحكيمة، العادلة، حروباً قاسية ضد هؤلاء جميعاً على مدى سنتين ونيّف هي مدة حكم الخليفة الأول بعد الرسول وكانت كل هذه المعارك مكللة بنصر المسلمين على أهل الردة الذين ضعُفت شوكتهم واستكانوا تحت ظل راية الإسلام إما بالتوبة

---

(١) هكذا يقول الطبري، وفي الكامل للمبرد (ج١ ـ ص: ٢٣٢) هذه الأبيات للحطيئة.

عن الكفر والعودة إلى الإيمان وإما بدفع الجزية للمسلمين مع بقائهم على معتقداتهم إن كانوا من أهل الكتاب ـ مسيحيين ويهود ـ وإما بالموت إذا رفضوا هذه وتلك.

ولعلّ كتاب أبي بكر إلى قائد جيش المسلمين آنذاك، خالد بن الوليد، الذي يقول فيه: «أدْعُ المرتدين للعودة إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجابوا فإنهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فإن أبوا فليدفعوا الجزية وهم آمنون على عباداتهم وأموالهم، وإن رفضوا هذه وتلك، فالسيفُ بينك وبينهم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا». لعلّ هذا الكتابَ هو افضلُ تصوير لسياسة الخيلفة الراشدي تجاه الردة والمرتدين.

ولقد مات أبو بكر، أو قُتل[1] في السنة الثالثة عشرة للهجرة وكانت خلافته مدة سنتين ونصف تقريباً، قضاها في مجاهدة المرتدين عن الإسلام. وقد توفي عن عمر يناهز الثلاثة والستين عاماً.

وإذا أردنا النظر إلى حروب الردة ونتائجها لرأينا لها فائدتين عظيمتين:

---

(١) روي أن اليهود سمّته في أرزة أو في جذيمة ـ قطعة لحم مطبوخة ـ راجع الطبري ج: ٢ ـ ص٦١١ .

ـ فمن جهة أولى كانت هذه الحروب مدرسة غنية التجربة لمقاتلي الإسلام، هَيّأتْهم لخوض غمار حروبِ الفتحِ القادمة بعد فترة وجيزة في زمن عمرَ بنِ الخطّاب والتي بلغت حدودُ الدولة الإسلامية فيها بلادَ فارس والشام.

ـ ومن جهة ثانية كانت هذه الحروب مصدراً هاماً من مصادر تدفق الأموال والغنائم على المسلمين من خلال مصادرة أملاك أغنياء المرتدين الرافضين للصلح، أو من خلال دفع الجزية ممن قبلوا الأمان من المسلمين.

٣ ـ زمن عمر بن الخطاب: اتساع الدولة وتماسكها.

مع انتقال الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسارع الخليفة إلى عزل «خالد بن الوليد» عن قيادة جيش المسلمين الذي كان يخوض معارك فاصلة على جبهة الشام، ويسند هذه القيادة إلى أبي عبيدة بن الجرّاح الذي أخفى عن خالدٍ أمْرَ عَزْلِه حتى انتهاء معركة اليرموك بالنصر المؤزر.

وتابع أبـو عبيدةَ تقدمه باتجاه الأردن وفلسطين وحرّر بيت المقدس في الوقت الذي كانت فيه جموع أخرى بقيادة المثنّى تتقدم لإحكام السيطرة على بلاد فارس وتتابع منها

باتجاه جرجان وطبرستان واذربيجان وكرمان وسجستان على حدود أوروبا الشرقية، ببينما كان عمرو بن العاص يتولى فتح بلاد النيل بادئاً بالإسكندرية.

وفي الكتاب الذي وجَّهه عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو على أبواب الإسكندرية ما يعطي فكرة واضحة عن تطلعات الخليفة: العسكرية والسياسية، الإسلامية، يقول: «........ أما بعدُ، فإنهُ جاءني كتابُك تذكرُ فيه أن صاحب الإسكندرية عرضَ عليك أنْ يعطيك الجزيةَ على أن تردَّ عليه ما أصيبَ من سبايا أرضه، ولعمري لجزيةٌ قائمةٌ تكون لنا ولمن بعدَنا من المسلمين، أحبُّ إلي من فيء يُقْسَمُ ثم كأنه لم يكنْ، فاْعرضْ على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، على أن تخيّروا من بأيديكم من سبيهِم بين الإسلام وبين دين قومه، فمن أختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن أختار دين قومِه وُضع عليه من الجزية ما يوضعُ على أهل دينه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغَ مكة والمدينة واليمن، فإنّا لا نقدر على ردّهم ولا نحبُ أن نصالحَه على أمرٍ لا نفيَ لهُ به».

لقد امتاز عهدُ عمر بن الخطاب، الذي استمر عشرة أعوام ونيفّاً، باطّراد المد الإسلامي وشموله أنحاء بعيدة من

المعمورة، لم يسبقْ لأي دولة أو امبراطورية أن وصلت إليها في فترة قصيرة كهذه، كما امتاز بتلك الثروة المادية الهائلة التي تدفقت على المسلمين من جميع أقطار الأرض فانعكست ازدهاراً اقتصادياً وتجارياً لم تعهده العصور السابقة ولا اللاحقة.

ولقد عزّز من هاتين المزيتين صفات الخليفة الخُلُقيّة من جهة وعدالةُ مواقفه ليس بين المسلمين بعضهم ببعض فحسب، وإنما بينهم وبين الأمم والشعوب التي نزلت على حكمهم وباتت من رعاياهم.

ولعلّ تنظيم عمر لبيت مال المسلمين، وانشاءَه الديوان الخاص بذلك وتحديده لتوزيع الأعطيات على المسلمين مبتدئاً بآل الرسول ثم الأقرب فالأقرب أي المهاجرين فالأنصار فالتابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ـ بشكل تراتبي من أعلى الهرم إلى أسفل قاعدته، ثم التزامه الشديد بسيرة النبي وسيرة أبي بكر من حيث التقشف وعدم الأثرة والترفع عن الذات هو ما يجعل من عصر عمر بن الخطاب العصر الذهبي بلا نزاع.

وقد يكون كل ذلك وراء جريمة اغتياله المدّبرة من قبل بعض يهود الجزيرة على يد «أبي لؤلؤة» مولى المغيرة بن شعبة، خاصةً إذا علمنا أن «كعب الأحبار» اليهودي، كان قد

حدّد «لأبي حفص» تاريخ وفاته قبل ثلاثة أيام من حصولها بحجة أنها مذكورة في «التوراة» وقد تم ذلك سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وكان عمره حينها بين الخامسة والخمسين أو الثالثة والستين عاماً حسب روايات المؤرخين[1].

٤ ـ زمن عثمان بن عفان: الخروج على الخليفة ومقتله.

تولى عثمان بن عفّان رضي الله عنه وهو صحابي جليل، وصهر للنبي، الخلافة، وأصبح أميراً للمؤمنين بعد أن استُحدث هذا اللقب في زمن الخليفة عمر.

واتبع عثمان سيرة السلف الصالح في تسيير شؤون الدولة وإرسال البعوث لاستكمال الفتوحات ومتابعة نشر الدعوة الإسلامية، حيث استطاع والي الشام، معاوية بن أبي سفيان، غزو جزيرة قبرص وصالح أهلَها على جزية مقدارُها سبعة آلاف دينار سنوياً[2].

غير أن الأمور لم تستقمْ لعثمانَ طويلاً، إذ أن حركات الإحتجاج والمعارضة بدأت تطلّ برأسها:

---

(١) راجع الطبري م. س: ج: ٣ ص١٩٠ وما بعدها.

(٢) كان الخليفة عمر قد رفض السماح لمعاوية بغزوها حرصاً على حياة المسلمين الذين لم يكونوا قد خاضوا حرباً بعد في البحر.

ـ من الشام أولاً، مع أبي ذر الغفاري، الصحابي، الذي وقف معارضاً أغنياء الشام، داعياً أياهم إلى بذل أموالهم لمساعدة الفقراء. ولم يستطع معاوية ـ رغم حنكته الواسعة ـ اقناع الغفاري بالعدول عن رأيه الذي شاع في أوساط الناس حتى اضطر معاوية لإرسال أبي ذر إلى المدينة، لعل الخليفة هناك يقدر على انتزاع هذه النزعة الخطرة من صدر هذا المحرّض على إقامة المساواة بين الناس.

دخل أبو ذرٍ على الخليفة فوجد «كعب الأحبار» عنده، ودار بين الأول والثاني حوار قال فيه أبو ذر موجهاً كلامه لعثمان: «........ لا تَرْضوا من الناس بكفِّ الأذى حتى يبذلوا المعروف، وقد ينبغي للمؤدّي الزكاةَ أنْ لا يقتصرَ عليها حتى يُحسنَ إلى الجيران والإخوان ويصلَ القرابات ......» فرد «كعب الأحبار» دون الخليفة: «مَنْ أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه» فرفع أبو ذر محجنه (عصاهُ) فضربَه، فشجَّه (جرحه)[1].

ـ ومن العراق ثانياً، وتحديداً من الكوفة، يقودها صحابة الرسول فيها من أمثال مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس، وكميل بن زياد وسواهم.

---

(١) الطبري ج: ٣ ص: ٣٣٦ .

لقد اعترض هؤلاء على سيرة واليهم، سعيد بن العاص، في أمور كثيرة كان أبرزها مسألة «سواد الكوفة» الذي عدّه الوالي ملكاً لقريش، بينما اعتبره المعارضون ملكاً لها ولأهلها الذين حازوه بسيوفهم.

ـ ومن مصر ثالثاً، يحركها عمّار بن ياسر، أحد صحابة النبي، الذي حرّض الناس على إظهار العمل بالمعروف والنهي عن المنكر في سلوك الولاة والعمال.

ارتبك الخليفة في ما يفعل أمام شدة الإحتجاج وشموله، فانطلق إلى المسجد ليعلن للملأ مواقف هي أشبه بنقد ذاتي صارم أو قل هي أشبه بالتداعيات التلقائيه تخرج من صدر ضاق باليأس والمرارة، فأخذ يقول: «........ أيها الناسُ، فوَالله ما عابَ مَنْ عابَ مْنكُم شيئاً أجهلُه، وما جئتُ شيئاً إلا وأنا أعرِفُه ولكنّي منّتْني نَفْسي وكذَبَتْني وضَلَّ عنّي رُشْدي .... فأنا أستغفرُ الله مما فعلتُ وأتوبُ إليه .....».

وكادت الفتنةُ تنطفىءُ والمحتجونَ يعودون إلى منازلهم مطمئنين لتوبة عثمان لولا قصةُ ذلك «الكتاب» الذي عَثَر عليه أهلُ مصرَ مع غلام الخليفة وعلى جَمله، ومنقوشاً عليه بخاتم الخلافة، وفيه أمر لعبد الله بن سعد ـ والي مصر ـ بالاقتصاص من قادة هؤلاء المصريين ومعاقبتهم

وسجنهم فور عودتهم من المدينة، وقد أقسمَ عثمان بأنه لا علم له بهذا الكتاب.

وهكذا تتعاظم الأمور وتتفاقم الأزمة، فلا نجد من يدفعها عن نهايتها المأساويةِ بقتل الخليفة في السنة الخامسة أو السادسة والثلاثين للهجرة، بعد حصار استمر أربعين يوماً، حاول فيها علي بن أبي طالب دفع الشر ما استطاع إلى ذلك ولكن دون جدوى.

٥ ـ زمن علي: انقسام الخلافة ونشوء الأحزاب.

لم يسبقْ للمدينة ـ حاضنة الدعوة الإسلامية ـ أن واجهت موقفاً كذلك الذي حدث عشية مقتل الخليفة: فالشوارع ملأى بصنوف القادمين من كل حدب وصوب، وقد ضبطوا حركاتهم وسكناتهم على إيقاع الأحداث المتوترة، المتلاحقة في كل لحظة، فغدت النفوس مضطربة لا تلوي على شيء، حيث أن مركز الخلافة بات خالياً تتنازعه ثلة من صحابة الرسول ووجوه قريش، بينهم علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في المدينة، وهناك من يترقّبُها من بعيد كمعاوية بن أبي سفيان، والي الشام وما حولها، وعمرو بن العاص في فلسطين.

في هذه الأجواء الملبّدة، تمت مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالخلافة، وهو ابن عم الرسول، وصهره، ومن أكثر المجاهدين بين يديه إيماناً بالدعوة، وتمسكاً بالعدل، واقامة الأحكام والسنن بين المسلمين.

غير أن هذه المبايعة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما حصلت المواجهة بين الخليفة وخصومه في معركة الجمل، بالبصرة، وانتهت بمقتل كلٍ من طلحة والزبير، وبانقسام المسلمين بين مؤيّدٍ لهذا ومؤيّدٍ لذاك.

ولقد حاول علي اقناع معاوية بالإذعان للطاعة والمبايعة، غير أن الردود كانت تنذر بقرب وقوع الصدام، الذي ما لبث أن نشب في صفين، وانتهى باللجوء إلى تحكيم كتاب الله في أمور المسلمين.

عندها انقسم جيش علي على نفسه: فريق مع متابعة المعركة، وآخر مع إيقافها، وانتصر الداعون إلى المفاوضة، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً من قبلهم واختار أهل العراق عبد الله بن قيس (أبا موسى الأشعري)، حكماً لهم.

ولما كُتب كتاب التحكيم وأخذه الأشعث بن قيس، يطوف به على الجيشين، يقرأه لهم، وصل إلى طائفة من جيش علي من بني تميم، فيهم عروة بن أذينة، فصاح هذا

قائلاً: «ما هذه الدنيئة يا أشعث، أَشَرْطٌ أَوْثَقُ من شرط الله عزّ وجلّ، أين قتـــلانـــا!؟»[1].

وجرت بينهما مشـادة انتهت بمغادرة «عـروة» جيشَ عليّ، وهو يقول: «لا حُكْمَ إلاّ لله» وكانت تلك أول اشارة لولادة هذه الفرقة التي عرفت فيما بعد باسم الخوارج، والتي يتوجب علينا معرفتها فنحدّد: من هم الخوارج، وما العوامل التي انتجتهم كفرقة، ثم ما هي أهم فرقهم، وما هو تاريخهم السياسي منذ انطلاقة الدعوة وحتى العصـر العباسي حيث تحولوا بعدها إلى جماعات دينية مسالمة، تؤمن بالتعايشْ مع بقية المسلمين دون اشهار حربٍ أو إهراق دماء.

---

(١) سهير قلماوي ـ أدب الخوارج ـ (ص٢١).

ثانياً: من هم الخوارج؟

١ ـ في التسمية:

سُمّوا أولاً: المحكِّمة، لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم «لا حُكمَ إلا لله».

كما سموا أيضاً: الحرورية، نسبة إلى حروراء، وهي قرية قرب الكوفة، خرجوا إليها أول الأمر.

ومن أسمائهم المعروفة:

ـ الشُّراةُ: ومفردها شارٍ، كقُضاة وقاضٍ، من شرى بمعنى غَضِبَ، أو بمعنى أصح بَاعَ، لأنهم حسب رأيهم، شروا أنفسهم ـ أي باعوها ـ لله تعالى، أخذاً من الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ الناسِ من يشري نفسَهُ ابتغاءَ مرضاة الله﴾[1].

ـ أما الإسم الذي غلب عليهم فهو «الخوارج» لأنهم خرجوا على «عليٍّ» و «معاوية» وإن اسمهم مشتقٌ من الخروج

---

(١) سورة البقرة: (آية ٢٠٧).

اعتماداً على قوله تعالى: ﴿ومَنْ يَخْرجُ مِن بَيْتِهِ مُهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدرِكْهُ الموتُ فَقَد وقَع أجْرُهُ على الله﴾[1]، أو من قوله تعالى: ﴿وَمَالكُمْ لا تُقَاتلُونَ في سَبِيلِ الله والمُسْتَضْعَفينَ منَ الرّجالِ والنِسَاءِ والولْدَانِ الذينَ يَقُولونُ: رَبَّنا أخْرِجْنا مِنْ هٰذِهِ القَرْيَةِ الظّالِمِ أهْلُهَا وآجْعَلْ لنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا واجعَلْ لنا مِن لَدُنْكَ نصيراً﴾[2].

ويعرّفهم الشهرستاني، في كتابه «المِلَل والنِحَل» بقوله: «كل من خرج على الإمام الحق، الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً»[3].

أما ابن خلدون فيشير إليهم بقوله: «إنهم خالفوا الرجوع مع علي من صفين، وأنكروا تحكيم الرجال .... وأتوا حروراء فنزلوها في اثني عشر ألفاً، وقدَّموا شَبَث بن ربعي التميمي، أمير القتال، وعُبيد الله بن الكواء اليشكري، أمير الصلاة.

وجاء في دائرة معارف القرآن العشرين لبطرس البستاني كلام مشابه لما قاله ابن خلدون، مضيفاً: أن علياً قاتلهم فاستماتوا في القتال حتى لم ينجُ منهم إلا أقل من عشرة.

---

(١) سورة النساء (آية ١٠٠).

(٢) سورة النساء (آية ٧٥).

(٣) الشهرستاني - الملل والنحل - تحقيق محمد كيلاني - ج١ - مصر ١٩٦١ (ص١٦٤).

٢ ـ في عوامل الخروج

أ ـ عوامل سياسة:

كان الخوارج في جيش علي قبل مسألة التحكيم التي وافقوا عليها أول الأمر، لكنهم عندما أحسوا بأن الخلافة ستؤول إلى معاوية بنتيجتها، رفضوا القبول بنتائجها، وأعلنوا معارضتهم لعلي الذي بدا مُرْبَكاً في اتخاذ الموقف بعد انقسام جيشه وخذلان معظم قادته والقراء منهم خاصة.

وهكذا أعلن الخوارج رأيهم صريحاً في مسألة اختيار الخليفة، وحددوا الشروط التالية: إن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحكِّم، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشياً، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم ولو كان عبداً حبشياً.

وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين، ويجب أن يخضع خضوعاً تاماً لما أمر الله، وإلا وجب عزله[١].

ثم طوّر الخوارج هذا المفهوم، فقالوا: إنه لا فرق بين أن يكون الخليفة رجلاً أو امرأة.

إن هذا التصور لأمر الخلافة، هو الذي ميّز الخوارج سياسياً عن بقية الأحزاب التي كانت تلتقي عند شرط أساسي

(١) أحمد أمين ـ فجر الإسلام. ص(٢٥٨ ـ ٢٥٩).

ألا وهو ضرورة أن يكون الخليفة من قريش: إذ أن الشيعة يريدونها لأهل البيت، ويريدها الأمويون لمعاوية ولابنائه من بعده، بينما يريدها الزبيريون لعبد الله بن الزبير وأسرته العريقة من بعده.

وقد ظل الخوارج، رغم كل الانشقاقات التي حصلت فيما بينهم متفقين على هذا المبدأ، حتى إذا وجدوا بعض التغير في سياسة عمر بن عبد العزيز تجاههم، سارع أحد شعرائهم، عمرو بن ذكينة، ليقول له[1]:

فإنْ قَصَدْتَ سبيلَ الحقّ يا عُمُر
آخاكَ في الله أمثالي وأشباهي
وإن لحقتَ بقومٍ كنتَ واحَدهُم
في جَوْرِ سِيْرَتِهِم، فالحُكم لله

ب ـ عوامل اقتصادية:

أن مبدأ المساواة بين المسلمين الذي طبقه الرسول في حياته، وشدّد عليه قبل وفاته، في قوله: «....... أيها الناسُ اسمعوا قولي واعلموا أن كل مسلم أخو المسلم وإن المسلمين أخوة».

بدأ بالاختلال في عهد عثمان، حيث أخذ الولاة

---

(١) إحسان عباس ـ شعر الخوارج ـ ص(٦٩).

يوزعون الأموال على الأقرباء والمناصرين دون مراعاة لمقياسي الفضل والحاجة.

ولقد ناهض هذه السياسة الاقتصادية الجائرة، عدد كبير من الصحابة وذوي الرأي في المجتمع وكان على رأسهم علي بن أبي طالب الذي كانت كلمته المأثورة: «عجبتُ للجائعِ كيف لا يخرجُ من بيته شاهراً سيفَه على الناس» ذات أهمية أكيدة في نفوس المسلمين.

وقد كان لهذه الدعوات المعارضة لسياسة الدولة الإقتصادية، يحملها أبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسواهما، أثر كبير في دفع المحتاجين وفي تحريضهم للوقوف بوجه عمال الخلافة وولاتها فلا نعجب إذا برز ذلك في أدب الخوارج ومواقفهم الحياتية المتعددة وفي مناظراتهم لخصومهم كما هي الحال في خطبة أبي حمزة الخارجي في المدينة حيث يقول مخاطباً أهلها: سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء، فأسأتم ـ لعمرو الله ـ فيهم القول، وسألناكم: هل يستحلون المال الحرام؟ فقلتم: نعم، ثم يقول في مكان آخر: «إنما خرجنا لنكف الفسادَ، ونقاتلَ من قاتلنا واستأثر بالفيء».

إذاً، كان لسوء توزيع الثروة، بعد عمر بن الخطاب، وعدم تطبيق المساواة بين أفراد المجتمع الإسلامي، نتيجته

الطبيعية: قيام حركات الاحتجاج والمعارضة لما هو قائم، ومحاولة إرساء علاقات إجتماعية سليمة بين المسلمين، تقوم على العدل والإنصاف.

ج ـ عوامل إجتماعية:

كان لضعف مداخيل البادية، ولازدياد فقر ساكنيها وقلة مواردهم الطبيعية لا بل انعدامها أحياناً، وكان لاستمرار انعزال البدو عن تطورات المجتمع العربي النامي في المدن التجارية، ولعدم صلتهم بما يدور من أحداث في الكوفة والبصرة ودمشق وسواها أن أحسّوا بعدم الارتباط بالحكام والولاة، وهو ما فتح مجال الشك في سلامة تطبيق المبادىء الإسلامية حول العدل والإنصاف وقد عبر عن ذلك أحد شعراء الخوارج بقوله:

حتّى متى لا نرى عدلاً نعيشُ به
ولا نرى لدُعاةِ الحقِّ أعْوانا[1]

أو في قول شاعر آخر:

وقد أَظهَر الجورَ الولاةُ وأَجْمعوا
على ظُلمِ أَهْلِ الحقِّ بالغَدْرِ وَالكُفْر[2]

حيث نلاحظ أن احتجاج الخوارج، ارتدى شكلاً دينياً

---

(١) عمران بن حطان.
(٢) مرداس بن أدية.

صارخاً، وذلك بسبب أن العقيدة الإسلامية، بكل حدتها، كانت ما تزال قوية التأثير، شديدة الصلة بالقرآن، وسنة الرسول، وسيرة الصحابة، يعززها في نفوس هؤلاء، ما امتازوا به من شجاعة، ومجاهرة بالرأي في أصعب المواقف، ولعلّ ردَّ مرداس بن أدية على زياد بن أبيه، عندما خطب في أهل البصرة خطبته المشهورة: البتراء، بقوله: «لقد خالفتَ ما حَكَمَ الله تعالىٰ في كتابه إذ يقول: ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾، تشهد إلى أي مدى بلغ إيمان هؤلاء القوم بصحة معتقداتهم ومدى استعدادهم للتضحية في سبيل الاعلان عنها.

٣ ـ تاريخهم السياسي:

زمنياً، بدأ تاريخهم السياسي عقب معركة صفين، حيث طلب إليهم علي بن أبي طالب أن يسيروا معه إلى الكوفة، فأغاروا إلى حروراء، ولقد حاول اقناعهم أكثر من مرة بالعودة إليه، لكن أكثرهم أصرّوا على موقفهم، واجتمعوا بالنهروان، وكان عددهم يومئذ اثني عشر ألفاً، فاتخذوا «شبث بن ربعي التميمي» قائداً لهم، وجعلوا «عبد الله بن الكواء اليشكري» إمامهم في الصلاة.

وقد أرسل «علي» إليهم عبد الله بن عباس حتى يردهم عن مذهبهم فقال لهم:

ـ ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟.

ـ قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً، فلما حكَّم في دين الله خرج من الإيمان، فليَتُبْ، بعد إقراره بالكفر، نعُدْ له.

ـ قال: لا ينبغي لمؤمن لم يشُبْ إيمانه شكٌ أن يُقِرَّ على نفسه بالكفر.

ـ قالوا: إنه قد حكّم.

ـ قال: إن الله عز وجل قد أمَرَنا بالتحكيم في قَتْل سيّد، فقال عز وجل: ﴿يَحكمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم﴾ فكيف في إمامةٍ قد أشكلتْ على المسلمين؟.

ـ قالوا: إنه قد حُكِم عليه فلم يرضَ.

ـ قال: إن الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجبَت معصيته، وكذلك الحكَمان، لمّا خالفا نُبذَت أقاويلهما.

ـ فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال عز وجل فيهم: ﴿بَلْ هُم قومٌ خَصمون﴾ وتفرقوا عنه.

واستمر هؤلاء في مضايقة «علي» في المسجد، إذ راحوا يقاطعونه كلما خطب بقولهم: «لا حُكْمَ إلاَّ لله» وكان يرد عليهم بقوله: «كلمةُ حَقٍّ يُرادُ بها باطل»[1].

---

(١) راجع: أحمد أمين، فجر الإسلام (٢٥٦ وما بعدها) وأحمد الحوضي، أدب السياسة (٨٩).

ولم يلبث هؤلاء الخوارج أن لقي بعضهم بعضاً، واجتمعوا في دار «عبد الله بن وهب الراسبي» فخطب فيهم وزهّدهم في الدنيا، ووعظهم، ثم دعاهم للخروج من الكوفة بقوله: «اخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كُوَرِ الجبال أو إلى بعض هذه المدائن مُنكرين لهذه البدع المضلة» فلبوا دعوته وبايعوه في شوّال سنة ٣٧هـ. واتجهوا إلى النهروان حيث لحق بهم خوارج البصرة.

وتَبِعهُم «علي» وقاتلهم قتالاً قاسياً حتى ليروى بأنه لم يَنْجُ منهم إلا تسعة، انهزم اثنان منهم إلى عُمان، وإثنان إلى كرمان، وإثنان إلى سجستان، وإثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى اليمن، فنشروا مذهبهم في هذه الأصقاع[١].

لقد كان لقتلى النهروان أثره البالغ عند الخوارج فقرروا قتل «علي» ومعاوية وعمرو بن العاص، وأعدوا لذلك خطة تقضي بالقضاء عليهم في ليلة واحدة، غير أن معاوية وعمراً نجيا من القتل بأعجوبة بينما نجح عبد الرحمن بن ملجم المرادي في القضاء على «علي» وذلك في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة. وفي ذلك يقول عمران بن حطانّ أحد شعراء الخوارج:

---

(١) راجع وجدي، محمد فريد ـ دائرة معارف القرن العشرين م: ٣(٦٩١).

يـــا ضـربــةً من تقيٍّ مـا أراد بهـــا
إلا ليبلغَ من ذي العرش رضوانـا[1]

بعد مقتل «علي» انتقلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان سنة إحـدى وأربعين للهجرة، وانتقلت معهـا هموم محاربة الخوارج والتصدي لهم، ففي هذا العام نفسه خرج حَوثَرةُ الأسدي الذي كـان متنحياً بـالبَنْدَنيجَيْن وكتب إلى حابسٍ الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعهِ فيتعاضدا على قتال معاوية، فأجابه حابس ثم رجعا إلى موضع أصحاب النُخيلة ومعاوية في الكوفة -حيث دخلها مع الحسن بعد مبايعة هذا الأخير له لقاء شروط جعلها ابن أبي سفيان دبرَ أذنه.

وكان من حنكة معاوية أن طلب إلى والد حوثرة أن «أكفني أمر ابنك»، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع فأبى فقال له أبو حوثرة: يا بُنيّ اجيئُك بابنك فلعلّك تراه فتحِن إليه. فقال حوثرة: يا أبتِ أنا وَالله إلى طعنةٍ نافذةٍ أتقلبُ فيها على كعوب الرمح أشْوَقُ مني إلى ابني، ثم هجم على القوم الذين أرسلهم معاوية لقتاله وهو يقول:

اكْـرُرْ على هـذي الجمـوع حَـوْثَـرَهْ
فعنْ قليـــلٍ مـــا تنـــالُ المَـغْـفِـرَة

---

(١) الرُّضوان: الرِّضِي.

فحمل عليه رجل من طيء وقتله، فرأى أثر السجود قد لوّح وجهه فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعاً[1].

عاد الخوارج إلى الظهور مجدداً عام ثلاثة وأربعين للهجرة بزعامة المستورد بن علّفة وكان كثير الصلاة، شديد الاجتهاد وله آداب يوصي بها كقوله: «إذا أفضيت بسرّي إلى صديقي فأفشاه لم ألُمه لأني كنت أولى بحفظه» أو كقوله أيضاً: «المال غير باقٍ عليك فاشترِ من الحمدِ ما يبقى عليك».

كان خروج المستورد في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة الذي وجّه إليه مَعْقِل بن قيس الريّاحي، فدعاه المستورد إلى المبارزة قائلًا: علامَ يُقتل الناسُ بيني وبينك؟ فقال له معقل: النَصَفَ سألتَ، فخرج عليه، فاختلفا ضربتين، فخرَّ كل منهما ميتاً.

واختار الخوارج من بعده حيّان بن ظبيان السلمي، وهو ممن سلموا يوم النهروان، واشترك مع معاذ بن جوين في بيعة المستورد بن علفة . . . . وقد ظل حيّان يقاتل الأمويين حتى قتله جيش عبيد الله بن زياد سنة ثمانٍ وخمسين للهجرة[2].

---

(١) راجع المبرد، الكامل في اللغة والأدب ج٢ (١٧٦ ـ ١٧٧).
(٢) راجع احسان عباس: شعر الخوارج ص(١٣٥).

ولما عجز المغيرة عن استثارة أهل الكوفة لقتال الخوارج جمع لقتالهم جيشاً من الشيعة انتصر بواسطته، وضرب بذلك خصمَيْ معاوية بعضهما ببعض.

وفي سنة خمس وأربعين للهجرة ولّى معاوية زياد بن أبيه أمر البصرة، ثم أضاف إليه الكوفة عام واحد وخمسين، وقد خرج في أيامه قُرَيْبُ بن مرة الأزدي، وزحاف الطائي، وكانا مجتهدين بالبصرة ثم خرجا يَقتُلان كلّ من صادفاه حتى بلغ خبرُهما أبا بلالٍ مرداسَ بن أُديّة وهو أحد زعمائهم فقال: «لا عفا الله عنهما، لقد ركباها عشواء مظلمة»[1].

ولقد بلغ من سطوة ابن أبيه وقسوته عليهم أنّ امرأة خرجت معهم مرة فظفر بها فقتلها ثم عرّاها، فخشِيَتْ النساء بعد ذلك على أعراضهن ولم يعُدن إلى الخروج.

ومن أخبار زياد مع الخوارج أنه كان يقتل المْعلِن ويستصلحُ المُسرّ ولا يجردُ السيف حتى تزول التهمة، وقد وجّه يوماً أحد رجاله، بُحَينةَ بن كُبيسٍ الأعرجي إلى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج، فجاءَه بُحينة فأخذه فقال: إني أريد أن أُحدثَ وضوءاً للصلاة، فدعني أدخل إلى منزلي. قال: ومن لي بخروجك؟ قال: الله عز وجل. فتركه فدخل فأحدث وضوءاً ثم خرج، فأتى به بُحينةُ زياداً فلما مَثُلَ بين

---

(١) راجع المبرد، م. س. ج٢ (ص١٨٠) وعشواء: مؤنث أعشى: اي لا يبصر.

يديه ذكر الله زيادٌ ثم صلى علي نبيّه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير، ثم قال: قعدتَ عني فأنكرتُ ذلك، فذكر الرجل ربَّه فحمده ووحّده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير، ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال: إنك قد قلت قولاً فصَدّقْه بفعلك، وكان من قولك: «وَمن قَعَدَ عنا لم نُهِجْهُ» فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوة وحُملان. فخرج الرجل من عند زياد وتلقّاه الناس يسألونه، فقال: ما كلكم استطيع أن أخبرَه ولكني دخلت على رجل لا يملك ضَراً ولا نفعاً لنفسه ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فرزقَ الله منه ما ترون......

وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول: ما أحسِب الذي يمنعكم من إتياني إلا الرُجلة[1]. فيقولون: أجل، فيحملهم ويقول: اغْشَوْني[2] الآن واسمروا عندي. فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: قاتل الله زياداً، جمع لهم كما تجمع الذرّة، وحاطهم كما تحوط الأمُ البرَّة، وأصلح العراقَ بأهل العراق، وترك أهل الشام في شأنهم.

وظلت الحال كذلك، بين شدة ولين، يمارسهما ابن أبيه تجاه الخوارج، إلى أن تولى ابنه، عبيد الله، أمر

(١) الرجلة: السير على الأقدام.
(٢) اغشوني: كونوا من أصحابي.

البصرة، فحسبه الخوراج أكثر ليناً من أبيه فبدأوا بالظهور سنة ثمان وخمسين للهجرة، إذ ثارت جماعة منهم بقيادة حيّان بن ظبيان الذي قُتل في المعركة كما قُتل عروة بن أدية[1] الذي كان قد سجنه عبيد الله بن أبي بَكرة والي ابن زياد على البصرة، ثم اطلق سراحه وقال له: أنا كفيلك عند ابن زياد.

لكن الأميرَ ما لبث أن طلب من الوالي الإتيانَ بعروة تحت طائلة استبداله به، فراح يبحث عنه إلى أن اهتدى إليه فحمله إلى ابن زياد فقال له هذا:

ـ أجَهَّزْتَ أخاك عليَّ؟.

ـ فقال عروة: والله ما كنتُ به ظنيناً، وكان لي عزّاً، ولقد أردتُ له ما أريد لنفسي، فعزم عزماً، فمضى عليه وما أحبُ لنفسي إلا المُقامَ وتركَ الخروج.

ـ قال له: أفأنت على رأيه؟.

ـ قال: كلنا نعبد رباً واحداً.

ـ قال: أما لأمثلن بك.

ـ قال عروة: اخترْ لنفسك من القصاص ما شئتَ.

فأمر به فقطعوا يديه ورجليه، ثم قال له: كيف ترى؟.

---

(١) عروة بن أدية: أخو مرداس بن أدية، أحد رؤوس الخوارج في الكوفة؛ خرج في زمن زياد وقُتل.

قال: افسدتَ عليّ دُنيايَ وأفسدتُ عليك آخرتَكَ، ثم أمر به فقُتل ثم صُلب على باب داره.

ولم تقتصر قسوة ابن زياد على رجالات الخوارج، بل تعدتها إلى نسائهم، حيث ان إحداهن وتُدعى البلجاء، اتي بها إلى ابن زياد، فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق، فمر بها أبو بلال مرداس بن أدية، وعضّ على لحيته وقال لنفسه: لَهذهِ أَطيبُ نفْساً عن بقية الدنيا منكَ يا مرداسُ.

ولم يلبث مرداس أن خرجٍ، بعد هزيمة الخوراج، عام ثمانية وخمسين، في أربعين رجلاً فقصد الأهواز، فأرسل إليه ابن زياد جيشاً عليه ابن حصن التميمي غير أن الجيش هُزم هزيمة نكراء في «آسك» فقال عيسى بن عاتك الخطي[1]:

أألفـا مـؤمـن فـيـمـا زعـمـتـم ... ويـهـزمـهـم بـآسـك أربـعـونـا

كـذبـتم لـيس ذاك كمـا زعـمـتـم ... ولـكـن الـخـوارج مـؤمـنـونـا

هـم الفئـة الـقـلـيـلة غـيـر شـك ... على الفئـة الـكـثـيـرة ينـصـرونـا

---

(١) سماه المبرّد عيسى بن فاتك، ونسبته مرة الخطي ومرة الحبطي، وقال البلاذري: هو عيسى بن جدير أحد بني وديعة، فهو من تيم الله بن ثعلبة. كان من أصحاب نافع بن الأزرق وقُتل بعد خروج الأزارقة. راجع. إحسان عباس ـ شعر الخوارج ـ (١٣٦).

ومن أخبار مرداس أنه كان مرة في سجن زياد بن أبيه، وقد لاحظ السجّان شدة اجتهاده وحلاوة منطقه، فقال له: إني أرى لك مذهباً حسناً وإني لأحب أن أوليك معروفاً، افرأيتَ إنْ تركتُك تنصرفُ ليلاً إلى بيتكَ، أتُدْلِجُ إليَّ؟ قال: نعم.

فصار يذهب كل ليلة إلى منزله ويعود إلى السجن عند الفجر، وحدث أن قرّر زياد أن يقتل جميع سجنائه منهم «ليقمع النفاق قبل أن يَنجُم» وعلم مرداس بذلك وهو في منزله، فأراد أهله منعه من العودة إلى السجن، لكنه أجابهم: «إني ما كنتُ لألقى الله غادراً».

وعن شدة تقاه يروى أنه مرّ بأعرابي يضع قطراناً لبعيره، فسقط مرداس مغشياً عليه، فظن الأعرابي أنه قد صُرع فقرأ في أذنه. فلما أفاق قال له الأعرابي: قرأتُ في أذنك. فقال له مرداس: ليس بي ما خِفتَهُ عليّ ولكني رأيتُ بعيرَك هَرِجَ (انقطع نَفَسه) من القطران، فذكرتُ به قطرانَ جَهنّم، فأصابني ما رأيت.

كما تذكر كتب التاريخ والسير إنه بعد خروجه مع أصحابه إلى آسك، مرّ به مال يُحمل إلى ابن زياد، فحطّ ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورَدَّ الباقي على الرسل، وقال: قولوا لصاحبكم: إنما قبضنا أعطياتنا، فقال له

بعض أصحابه: فعلامَ نَدَعُ الباقي؟. فقال: إنهم يقسمون هذا الفيء، كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

بعد مقتل أبي بلال، رحل الخوارج إلى مكة بقيادة نافع بن الأزرق من بني حنيفة، ويكنى: أبا راشد. وكان فقيهاً مقدماً في فقه الخوارج، إذ قال لأصحابه: «أخرجوا بنا إلى هذا الذي ثار في مكة، فإنْ كان على ديننا جاهَدْنا معه، وإن لم يكن دافِعناه عن البيت». وكان عبد الله بن الزبير قد أعلن عصيانه على يزيد بن معاوية في تلك الناحية.

وفي مكة انضم الخوارج إلى ابن الزبير، الذي رحب بهم، فقاتلوا معه، وهو محاصَرٌ، فلما عاد جيش الشام بعد موت يزيد[1]، وبعد ما تأكد للخوارج، أن عبد الله ليس على مذهبهم، انفضوا من حوله، ورحلوا إلى البصرة، وفي مقدمتهم نجدةَ بن عامر الحنفي ـ ويقال أيضاً ابن عويمر، كان رأساً من رؤوس الخوارج وذا مقالة متفردة واتباعه يسمّون: النجدية أو النجدات، انشقوا على نافع حين أحلّ قتل الأطفال وحرّم القعود والتقيةَ. نقم عليه أصحابه بعض الأمور وخلعوه ثم قتلوه ـ ونافع بن الأزرق، وعبد الله بن الصفّار ـ مؤسس مذهب الصفرية الذي انشق عن

---

(١) سنة أربع وستين للهجرة: وقد سيطر عبد الله بن الزبير على الحجاز وأعلن نفسه خليفة المسلمين.

نافع ـ وعبد الله بن أباض ـ مؤسس مذهب الأباضية، بعد انفصاله عن الأزارقة ـ وأخذوا يدعون لمحاربة السلطان.

وخرج نافع بجمع كبير من أصحابه إلى الأهواز، وطردوا منها عامل ابن زياد، الذي فرّ بعد وفاة يزيد إلى الشام، وأخرجوا من السجن أخوانَهم الذين حبسهم عبد الله، الوالي، حينما ثار عليه أهل البصرة بعد وفاة يزيد، وتفاقم الحركة الزبيرية في الحجاز.

استولى نافع على الأهواز وجبى خراجها، فكثر اتباعه وذعر منه أهل البصرة فقاتلوه، وكانت بين الفريقين مناوشات بسيطة أول الأمر، ما لبث نافع بعدها أن جهّز جيشاً كبيراً، فاتجه به إلى البصرة، فخرج إليه «مسلم بن عبيس» في جيش ضخم وهو يقول: «إني ما خرجت لامتيار ذَهَبٍ ولا فضة، وإني لأحاربُ قوماً ان ظفرتُ بهم فما وراءَهم إلا سيوفَهم ورماحَهم».

وقد جرت بين الفريقين مناوشات كثيرة قبل أن يشتد أوار المعركة في منطقة إسمها «دولاب»[1] ولعلها المعارك التي خاضها الخوارج حيث انتصروا فيها على أهل البصرة، وقد قُتل فيها قائدا الجانبين كلاهما: نافع بن الأزرق، ومسلم بن عُبيس. وحل مكان الأول في الشراة: عبيد الله بن بشير بن

---

(١) منطقة في الأهواز، تقع على نهر دجيل.

الماحوز السليطي، وحل مكان الثاني في البصريين: الربيع بن عمرو الأجذم الغُداني، فكان الرئيسان من بني يربوع، ثم إنّ هذين القائدين لا يلبثان أن يَسقُطا كلاهُما ميْتين خلال المعركة، كما يُقتل من الخوارج عمران بن الحرث الراسبي وهو من رؤوسهم.

ومن ناحية أخرى، ولّى عبد الله بنُ الزبير، في حرب الخوارج، المُهلبَ بن أبي صفرة، الذي لجأ إلى وسيلة جديدة في حربهم، حيث عَمِد إلى اختلاقِ الأحاديث عليهم، وكان يقول: «إن الحربَ خِدْعَة»، حيث أن بعض العرب من الأزد كانوا ـ إذا رأوا المهلب خارجاً ـ قالوا: «راح يكذب» وفيه يقول أحدهم:

أنتَ الفتى كلُّ الفتى
لو كُنتَ تَصْدُقُ ما تَقولُ

كما أن المهلبَ أخضع أهل البصرة لشروط قاسية منها مثلاً فرضه عليهم الخراج لمدة ثلاث سنوات إذا أرادوه أن يتابع الحرب ضد الخوارج.

ودارت بين جيش المهلب وبين الشراة معارك قاسية في سولاف وسُلّى وسُلَّبري، انسحب الخوارج بعدها إلى الجبال بقيادة الزبير بن الماحوز، ثم هاجمهم عُمر بن عبيد الله بن

معمر عند سابور واجلاهم إلى كرمان وأصفهان، ثم تعقبهم عتّاب بن ورقاء وقتل أميرهم «الزبير».

ولّى الخوارج قطريّ بن الفجاءة المازني، الذي تقدم بهم إلى العراق، فوجّه إليه مصعبُ بن الزبير، المهلبَ بن أبي صفرة، الذي انتصر عليهم، وظل يناوشهم حتى قُتل مصعب.

تحول الأمر إلى الأمويين بعد هزيمة عبد الله بن الزبير، واستلم الحكمَ عبدُ الملك بن مروان، الذي أرسل إلى الشراة قواداً حالفتهم الهزائم، إلى أن ولّى الحجاجَ بن يوسف أمْرَ العراق عام خمسة وسبعين للهجرة، فأعاد المهلبَ إلى حربهم وطاردهم إلى جِيرَفْتَ.

ما لبث الخلاف أن دب بين الخوارج، فانقسموا إلى فريقين: أحدهما مع قطري بن الفجاءة، والآخر مع عبد ربه الصغير، فضعف أمر الفريقين، واستطاع المهلب أن ينتصر على عبد ربه أولاً، فقتله وقضى على اتباعه عام سبعة وسبعين للهجرة، وتعقبت جيوشُ أخرى قطرياً وصاحبه عبيدة بن هلال اليشكري حتى طبرستان، حيث قضي عليهما وعلى أتباعهما سنة ثمان وسبعين للهجرة.

وبموت قطري تراجعت حروب الأزارقة وضعفت بعد أن توالت بحدة خلال أكثر من أربعة عشر عاماً.

أما نجدة بن عامر فقد اعترض على آراء نافع وكتب إليه كتاباً حول هذا الاعتراض بيّن فيه رأيه، وانفصل عنه منذ عام خمسة وستين، أي بعد عودتهم من مكة، وكذلك انفصل عبد الله بن الصفّار، وابن إباض في السنة نفسها وللأسباب عينها.

رحل نجدة مع أصحابه إلى اليمامة، وراجت دعوتهم بالبحرين، فأرسل مصعب بن الزبير جيشاً لمحاربتهم سنة ست وستين، فهزمهم فانتقلوا إلى صنعاء وبثوا آراءهم في اليمن، وكاد سلطانهم يعم الجزيرة كلها لولا أن حدث انشقاق في صفوف رجاله، كان من نتيجته أن قتلوه وولوا عليهم أبا فديك سنة اثنتين وسبعين للهجرة، وقد سموا بالفديكية لذلك، ثم هاجموا البصرة مراراً، إلى أن هُزموا سنة ثلاث وسبعين هزيمةً ساحقة قضت على دولتهم قضاء مبرماً.

أما عبد الله بن الصفار فقد بقي في الموصل، حيث أسس مذهب الصفرية، الذي أخذ يشيع القعود عن الخروج، إلى أن ظهر فيه «صالح بن مسرّح» ثم خلفه آخرون. وقد خرج صالح عام ستة وسبعين، وأنزل بجيوش الحجاج هزائم متوالية، وغنم منها سلاحاً ومالاً، فعظم شأنه، وزحف برجاله نحو الكرخ، ثم دخلوا بغداد، وساروا نحو الأنبار، وارتفعوا نحو أذربيجان، فانهزم أمامهم جيش الحجاج وعاد إلى البصرة.

ولما قُتِل صالح في إحدى المعارك، تولى أمر الصفرية من بعده: شَبيبُ بن يزيد الشيباني - ومعه زوجه غَزَالَةْ[1] - وأمه جَهِيْزَةْ، فأرسل إليهم الحجاج جيشاً قرب الحيرة، انتصروا عليه عدة مرات، ثم هاجموا الكوفة ودخلوها مدة، إلى أن استطاع الأمويون اخراجهم منها، وذلك أن الحجاج ذهب بنفسه يقود جيش أهل الشام فهزمهم وقَتل غزالة زوج شبيب، وقَتل أمه جَهِيزْة، وفرّ شبيب، فبعثْ إليه الحجاج جيشاً يطارده لكن الأمر لم يطل، إذ غرق جواد شبيب وهو عليه في دجيل الأهواز عام سبعة وسبعين فتفرق أصحابه.

سكنت الخوارج بعدها فترة من الزمن - في عهدي الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان - فلما تولى أخوهما يزيد الخلافة، خرجوا عليه بقيادة شَوذَبْ، ثم تولى عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين، فحاول أَخْذَهُم بالرفق،

---

(١) يقول عمران بن حطان بعد أن لج الحجاج في طلبه:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تصفر من صفير الصافر.

هلّا برزتَ إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

ذلك أن الحجاج اختبأ في قصره خوفاً عندما هاجمه الخوارج، وعمران يحقره، إذ أنه اختبأ من امرأة، وهو الآن يستأسد على الشاعر.

والمحاجّة، وكاد ينجح، لكن شوذباً، عاد فتزعّم ثورة الخوارج في العراق عام مئة للهجرة في ثمانين فارساً، هزموا والي عمر عليها، فبعث إليهم جيشاً من أهل الشام يقوده مُسْلِمَةُ بنُ عبدِ الملك، فانتصر عليهم وقَتَل شوذباً وذلك في السنة الأولى بعد المئة من الهجرة.

وفي عهد مروان بن محمد، راجت دعوة ابي مسلم الخراساني، واستشرى خطر الصفرية بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني، ومما زاد في قوتهم، انقسامُ الأمويين: إذ أن سليمان بن هشام انضم إلى الضحاك بعد وفاة أبيه ودعا أهل الموصل الضحاكَ إلى بلدهم، فدخله وطرد عاملَ مروان. وكذلك انضم إليه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان والياً على العراق وعزله مروان، حينما زحف الضحاك على الكوفة سنة سبع وعشرين ومئة، فسار إلى الموصل ثم إلى نصّيبين، فحاصره عبد الله بن مروان، ثم لحق به مروان نفسه فهزمه وقتله عند ماردين سنة ثمان وعشرين ومئة، وبايع أتباعُه «الخَيْبَريَّ» الذي قُتل في السنة نفسها.

أما الإباضية، أتباعُ عبد الله بنِ إباض، فقد اتبعوا القعود، حتى ظهر فيهم «عبد بن يحيى» الملقب بطالب الحق وذلك في سنة تسع وعشرين ومئة للهجرة وقد هاجم عبد الله حضرموت واستولى عليها ثم استولى على اليمن، وانضم إليه

أبو حمزة، المختار بن عوف الأزدي، الذي كان يذهب إلى مكة ليستثيرَ الناسَ على مروان بن محمد.

استولى أبو حمزة على مكة بسهولة، وأحكم سيطرته على الحجاز بعد أن دخل المدينة إثر معركة قُديد سنة مئة وثلاثين للهجرة.

وقد هاجمه جيش الشام، فخرج للقائه في وادي القرى حيث هُزم وهرب إلى مكة، فتبعه الأمويون وقبضوا عليه، وعلى أصحابه فصلبوهم. ثم عاد الجيش نحو اليمن فهُزم «طالب الحق» الذي قُتل مع كثير من أصحابه في العام نفسه.

أما في العصر العباسي فلم يكن للخوارج شأن يذكر، واقتصر أمرهم على بعض المناوشات في عُمان، التي ظلوا فيها حوالي المئة سنة، إلى أن قُضي عليهم سنة مئة واثنتين وسبعين للهجرة.

لقد أربك الخوارج السلطة الأموية، . وشغلوها فترة من الزمن في حروب ومناوشات كُتب لهم النصر في بعضها، دون أن يستطيعوا الوصول إلى تغيير هذه السلطة واستبدالها بنظام يمثل مبادئهم ومعتقداتهم التي قاتلوا من أجلها أكثر من مئة سنة. ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتبارات كثيرة، هذه أهمها:

أ ـ إنهم لم يكونوا على وفاق مع بقية أطراف المعارضة

من شيعة وزبيريين، بل غالباً ما نجد أن خلافاتهم مع هؤلاء لا تقل حدة عن خلافاتهم مع الأمويين.

ب ـ كما أنهم لم يحسنوا معاملة الناس الذين كانوا يتصلون بهم ويقيمون بين ظهرانيهم، حيث عمدوا في الغالب إلى قتال كل من ليس معهم سواء كان مؤيداً للأمويين أو ناقماً عليهم، ولم يميزوا بين الصديق والعدو في تعاملهم مع الآخرين.

ج ـ وإذا أضفنا إلى هذين السببين مشكلة انقسام الخوارج الدائم على أنفسهم وتشعبهم باستمرار إلى فرق ومجموعات صغيرة، لأدركنا السبب الجوهري الكامن في عدم تمكن هؤلاء الفوارس الشجعان من تحقيق أهدافهم التي أعلنوها في بداية خروجهم الطويل.

٤ ـ أشهر فرقهم:

ظل الخوارج حزباً واحداً متماسكاً حتى سنة خمس وستين للهجرة، يوم ذهب نافع بن الأزرق برجاله إلى مكة لنصرة عبد الله بن الزبير.

ولما عادوا، بعد خيبة أمل، لعدم توافق آرائهم مع رأي الزبيري، انقسموا إلى أربع فرق هي:

أ ـ الأزارقة[1]:

وهم أتباع نافع بن الأزرق، كان أكثرهم من تميم، وقد انضم إليهم كثير من الموالي، واشتهروا ببسالتهم الفائقة حتى اصبحوا مثال العرب في الدفاع عن مذهبهم، وكانوا يعوضون خسائرهم بالأرواح عن طريقين: الانجاب الدائم، واقبال الفئات الضعيفة نحوهم من أفراد المجتمع المؤمنين بمذهبهم.

انقسم الأزارقة على أنفسهم في أواخر أيامهم عندما التحق فريق منهم بقطري بن الفجاءة، وتبع فريق آخر «عبد ربه» الصغير، وهذا ما سهّل للمهلب امكانية القضاء عليهم.

كان نفوذهم بالقرب من البصرة، وبفارس وكرمان، وكانوا يعتبرون أشد الفرق الخارجية بأساً، وأكثرهم عدداً، وأعظمهم قوة.

من أهم مبادئهم:

١ ـ كَفَّروا علياً والمسلمين جميعاً ما عدا الأزارقة.

٢ ـ غَلّوا في الحكم على مخالفيهم، فَقَضوا بتكفيرهم، فاستحلوا قتالَهم، واستحلوا قتلَ أطفالهم وشيوخهم، وفي ذلك يقول «سُبْرَةُ الجَعْدّي»:

---

(١) عن الأزارقة، أحمد الحوفي ـ أدب السياسة (ص٩٥)، وغولدشيهر ـ العقيدة والشريعة (ص١٧٢).

فمنَ مبلغُ الحجاجَ أن سميرَهُ
قلى كلّ دينٍ غيرِ دينِ الخوارجِ
رأى الناسَ - إلّا من رأى مثلَ رأيه -
ملاعين ترّاكين قصْدَ المخارجِ

فكل المسلمين - عدا من رأى رأيهم - كفار لا يمكن الإتفاق معهم.

٣ - رفضوا القعود، أو التقية، وكفرّوا المؤمنَ بهما، وفي ذلك يقول قطري بن الفجاءة - موجهاً كلامه إلى خارجي آخر من القَعدة:

أبا خالدٍ يا انفرْ فلستَ بخالدٍ
وما جعلَ الرحمنُ عُذراً لقاعدِ

حيث يحث الشاعر أخاه القاعَد على الخروج والاستنفار لأن لا عذر للقاعد عنهما.

٤ - تقول الأزارقة بإسقاط الرجم عن الزاني، إذ ليس في القرآن ذكره، وإسقاط القذف عمن قذف المحصنين من الرجال، مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء.

ب - النجدات(١):

أتباع نجدة بن عامر، كانوا في أول أمرهم باليمامة

(١)عن النجدات، أحمد الحوفي، م. س. ص(٩٨).

والبحرين وحضرمُوت، انفصلوا عن الأزارقة سنة ست وستين للهجرة.

من أهم مبادئهم: يقول نجدة في سبب خلافه مع الأزارقة:

١ ـ ليس المتخلفون عن الجهاد كفاراً، لأن الله عذرهم وسمّاهم أحسنَ الأسماء في قوله: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَجٌ إذا نصحوا لله ولرسوله، ما على المسلمين من سبيل﴾؛.

٢ ـ ولهذا يحلّ: الزواجُ منهم وإليهم، وميراثُهم، وذبائحهم، وتُقبل شهادتَهم.

٣ ـ لا يحلّ قتلُ الأطفال لأن الله يقول: ﴿لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾.

٤ ـ التقية جائزة لقوله تعالى: ﴿لا يتخذُ المؤمنون الكافرين، أولياء من دون المؤمنين﴾.

ولما وصل «نجدة» إلى اليمن، اختاره رجال «أبي طالوت» زعيماً لهم، ثم اختلف معه أتباعه بزعامة «أبي فديك»، فقتلوه، وأمروا هذا الأخير، فصاروا يسمّون فديكية، قضى عليهم جيش عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين للهجرة. على أن «عُطية بن الأسود الحنفي» بَرىء من «أبي فديك»، وانتقل إلى أرض سجستان وسمّى أصحابه:

العطوية؟ ومنهم «عبد الكريم بن عجرد» الذي انفصل عن «أبي فديك» وسمّى أصحابه: العجاردة، ومنهم خرج «ميمون» مؤسس: الميمونية.

هذه الفرق الخمس ذات الأصل الواحد، لا تختلف عن بعضها في الجوهر وإنما في التفاصيل الشكلية، وقد ظل يجمع بينها رأيٌ مفاده: لا حاجة للناس إلى إمام قَطّ، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، وإذا وجدوا أن إصلاح أمورهم لا يتم إلا بإمام جاز لهم ذلك.

ج ـ الإباضية[1]:

أتباع عبد الله بن أباض التميمي، الذي عاش في زمن معاوية، وكان من أتباع نافع بن الأزرق، ثم خالفه وانفصل عنه. كان نفوذهم في اليمن وحضرموت، وتزعّمهم عبد الله بن يحيى الكِنْدي، الذي بايعه أبو حمزة عام مئة وثمانية وعشرين للهجرة.

والاباضية يتفقون في كثير من معتقداتهم مع المعتزلة كقولهم بخلق القرآن، وتأويلهم بعض كلماته تأويلاً مجازياً، ويخالفون المعتزلة بقولها: ان مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين، بينما يعتبره الخوارج كافراً.

---

(١) عن الإباضية، عبد القادر شيبة الحمد ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص٩٠).

ما زالت بقايا من الإباضية في الجزائر، وطرابلس الغرب وعُمان، وزنجبار إلى اليوم.

أهم مبادئهم:

١ ـ كانت الاباضية حركة وسطية في نظرتها إلى المسلمين غير الخوارج، إذ اعتبرتهم كفاراً غير مشركين، ولهذا لا يحل قتالهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحُجة وإعلان الحرب. وهي تلتقي مع «النجدات» من حيث قولها: إذا قاتْلنا المسلمين وغنمنا منهم، ردَدْنا كلَّ شيء إلا المالَ والسلاحَ.

٢ ـ أباحوا الزواج من مخالفيهم والوراثة كذلك.

٣ ـ جاء في خطبة «عبد الله بن يحيى» بعد أن استولى على اليمن: «من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر، ومن شكّ إنه كافر فهو كافر».

د ـ الصُفرية[1]:

اتباع زياد بن الأصفر، وقيل عبد الله بن الأصفر، ولذلك يسمّون الزيادية، أو الصفرية.

حول تكوّنهم يقال إن «نافعاً» لما بعث كتاباً إلى «إبن أباض يشرح له فيه مذهبه، قال الاباضي: «قاتله الله أيَّ رأيٍ رأى؟ لو كان القوم مشركين كان أصوبَ الناسِ رأياً وحُكماً

(١) عن الصفرية، راجع: المبرد، الكامل في اللغة والأدب ج٢ (ص٢٠٢) وأحمد الحوفي ـ أدب السياسة، (ص١٠٢ ـ ١٠٣).

فيما يشير به، وكانت سِيْرتُه كسيرة النبي في المشركين، ولكنه قد كذِبَ فيما يقول، إنَّ القومَ كفارٌ بالنِعم والأحكام وهم براءٌ من الشِرْك ولا يحل لنا إلا دماؤهم .... فقال ابن الصفار: بريءَ الله منك فقد قصَّرتَ، وبريءَ الله منه فقد غلا، بريءَ الله منكما جمعياً، فقال له ابن اباض: فبرىء الله منك ومنه، وتفرّق القوم.

من أهم مبادئهم:

١ ـ يؤمنون بالقعود كالنجدات، ويجيزون التقية قولاً وفعلاً.

٢ ـ لم يبيحوا قتل أطفال المشركين منهم وهم بذلك يلتقون مع النجدات والإباضية.

٣ ـ الكبائر برأيهم نوعان: نوعٌ يُحدّ مثل الزنا، السرقة، القذف، ونوع لا يُحدّ لعظم قدره مثل تْرك الصلاة والفرار من الزحف، ومرتكب هذا النوع من الكبائر كافرٌ مخلّد في النار.

هذه أشهر الفرَق الخارجية: غير أن بعض المؤرخين يذكر ما يزيد على العشرين فرقة دون إيضاح للتمييز بينها، كما هو الحال عند عبد القاهر البغدادي في «الفرَق بين الفرِق» حيث يعددها كما يلي: «المحكّمة الأولى، الأزارقة، النجدات، الصفرية، ثم العجاردة المفترقة فرقاً منها:

الخـازمية والشعيبية والمعلومية والمجهـولية، والمعبـديـة، والـرشيـديـة، والمكـرميـة، والحمـزيـة، والشمخـرانيــة، والإبراهيمية، والواقفة والإباضية، التي افترقت فرقـاً معظمهـا فريقان: الحفصّية والحارثية، فأمـا اليزيـدية من الابـاضية والميمونية من العجاردة، فإنهمـا فرقتـان من غلاة الكفـرة الخارجين عن فِرَق الأمة».

ثالثاً: أدب الخوارج.

١ ـ الأدب قبل الخوارج

١ ـ عرف العرب في جاهليتهم ـ بالإضافة إلى الشعر والخطابة ـ فنوناً أدبية متعددة، كالأمثال والحكم، والروايات، يضاف إلى ذلك ما شاع من أن بعض البدو كانوا يدّعون التنبّوء ومعرفة المغيبات وهم الكهان الذين عُرف انتاجهم الأدبي بأنه سجع خالص.

ولما جاء الإسلام، بقيت هذه الفنون بمعظمها مستمرة في الحياة، ما عدا الامثال التي استبدلت بتلاوة القرآن والحديث، بينما خفتَ صوتُ الغزل، واستُبعد السجع من الخطب والأحاديث.

غير أن تبدلاً طرأ على مضمون الأدب بتأثير الدين الجديد، الذي دعا إلى القضاء على كل مظاهر الوثنية في الأدب والحياة.

هذه الفنون الأدبية المختلفة، وخاصة الشعر والخطابة، كانت الإطار العام الذي شمل مختلف أغراض

الكلام في العصرين: الجاهلي والإسلامي الأول، من هجاء ومديح، وفخـر ورثاء، ووصف وغزل الخ . . . .

وتميزت أكثر آثارهما بالواقعيـة في التعبير من حيث التصاقها بالبيئة وما يدور فيها من أحداث من جهة، كما تميزت بالتفكك بسبب تعدد الأغراض وتنوعها في الأثر الواحد من جهة ثانية.

إلا أن أسلوبها اتسم في كلا الحـاليـن بالجزالة ودقة الوصف والـطبعيـة والتدفق.

٢ ـ آثار الخوارج الأدبية:

لقد ترك الخوارج عدداً وافراً من الآثار الأدبية الموزعة في كتب التاريخ والأدب القديمة والحديثة، حيث نجد قسماً كبيراً منها في كتاب «الكامل» «للمبرِّد»، وفي كتاب «الأغـاني» «لأبي فرج الأصبهاني»، وفي كتاب «تاريخ الأمم والملوك» «للطبري»، وفي «أدب السياسة» للدكتور «أحمد الحوفي» وفي «أدب الخوارج» «لسهير قلماوي»، وسواها من الكتب القيمة التي أنتجها العرب منذ العصر العباسي حتى اليوم.

وقد تراوحت المساحات التي يحتلها أدب الخوارج في صفحات هذه المؤلفات بين القلة والكثرة، ولكن الواضح أن شعـراءهم ـ عدا الـطِرِمَّـاح بن حكيم ـ لم يتـركـوا لنـا دواوين

شعرية مثبتة يمكن الرجوع إليها، رغم أن ما تركه «عِمرانُ بن حطّان السَدُوسي» «وقطريُ بن الفُجاءة المازني» من أشعار يكفي لتأليف ديوان لكل منهما، لو جُمعت.

ولعل السبب في ذلك، هو ضياع أكثر شعرهم، في زمن اعتُمد فيه الحفظ والتناقل وسيلةً وحيدةً لحفظ الأدب من الضياع.

وإذا عرفنا أن الخوارج كانوا فئة غير محببة إلى النفوس، ينظر إليهم المجتمع كجماعة مارقة من الدين، وإن أكثر الرواة والمحدِّثين في ذلك العصر وما يليه كانوا إما من الشيعة أو من الأمويين، أدركنا الأسباب التي من أجلها أُهملت أكثر آثار هذه الفرقة السياسية ـ الدينية، فلم يصلنا منها إلا النزر الضئيل على شكل مقطّعات وقصائد.

هذه المقطعات القصيرة، والقصائد المطوّلة، جمع منها الدكتور «إحسان عباس» قسماً كبيراً في كتابه «شعر الخوارج» وهذا القسم المتبقي كاف بحد ذاته لإلقاء نظرة ـ شبه كافية ـ حول ما ألمّوا به من موضوعات وما تميزّت به كتاباتهم من خصائص ومميزات.

٣ ـ موضوعات الأدب الخارجي:

أ ـ في الشعر:

١ ـ الشجاعة:

لقد شهد لهم كثيرون بذلك، فصاحب «العقل الفريد» يقول عنهم: «وليس في الأفراق كلها أشد بصائر من الخوارج، ولا أشد اجتهاداً، ولا أوطَن نفساً على الموت، منهم الذي طُعنَ فأنفذه الرمحُ فجعل يسعى إلى قاتله ويقول: وعجّلتُ إليك ربّ لترضى»(١).

وهكذا نجد في تاريخهم الحافل بالمعارك والتضحيات، صوراً حية لتلك الروح الشجاعة التي حملها هؤلاء بين جنوبهم كتلك الأبيات التي نظمها «عيسى بن فاتك» في وصفه لمعركة «آسك» بين أصحابه وجيش ابن زياد حيث يقول:

ألفا مؤمنٍ فيما زعمتم
ويهزمهم بآسك أربعونا

لنلاحظ الفرق في الأرقام: جيْشُ الأمويين يبلغ تعدادُه الألفين، بينما يتصدى له من الجانب الآخر أربعون رجلاً في معركة لم يكن فيها أسلحة ثقيلة واقتصرت على المواجهة الفردية بالأدوات المتوفرة آنذاك للقتال.

---

(١) سهير قلماوي ـ أدب الخوارج (ص٢٢).

ونستمع أيضاً إلى «قطري بن الفجاءة» يصف شجاعته بقوله محدثاً نفسه:

أقولُ لها وقد طارت شَعاعاً[1]
من الأبطال ويحكِ لن تراعي
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ
على الأجل الذي لكِ لم تطاعي

فهو يستحث نفسه على تحمل المصاعب وعدم الخوف والصبر على القتال لأنه أدرك فناء الحياة وعدم جدواها.

وكذلك نجد في شعر «الطرماح بن حكيم» وصفاً لذلك الاقدام يحركه استهانةٌ بالدنيا المليئة بالشر، ورغبة في الآخرة الحافلة بالخير، وتمنٍّ صادق للموت قَعْصاً - أي ضرباً بالسيف - ورمياً في العراء، يقول:

أذا العرش إنْ حانت وفاتي فلا تكن
على شرجع يُعلى بخضر المطارفِ[2]
ولكنْ أحِنْ يومي سعيداً بعصبةٍ
يصابون في فجٍّ من الأرض خائفِ[3]

---

(١) الشَّعاع: التفرُّق من كل شيء؛ والأبيات من: احسان عباس - م. س (ص٤٢ - ٤٣).

(٢) شرجع: نفس - ومطارف: ج مِطْرف: رداء من خز. والأبيات من احسان عباس م.س (ص: ٩٨).

(٣) عصبة: جماعة - وفج: مكان موحش.

فـأُقْتَـلُ قَعْصاً ثم يُـرمى بـأعْـظُمي
كضِغْثِ الخلا بين الرياح العواصفِ[1]

ويصبــحُ لحمي بيـن طيـرٍ مَـقيـلُهُ
دُوينَ السمـــاء في نسـورٍ عـــواكفِ

هكذا فهم الخوارج طريقهم إلى الخلاص من آفات المجتمع، ومن هنا كان اندفاعهم الشديد وتشوقهم الدائم لحمـل السـلاح بغيـة استـرجـاع الحق المهـدور وتقــويم الإعوجـاج الناشىء أو الاستشهاد دونه.

٢ ـ التحريض على الثورة:

لكي يحقق الخوارج أهدافهم في الإصلاح الإجتماعي والديني والسياسي، كان لا بدّ لهم من دفع بقية أبناء الرعية للوقوف معهم وحمل السيف، من ذلك ما قـاله «معـاذ بن جوين» عندما حبَس «المغيرة بن شُعبة» جماعة «منهم سنة ثلاث وأربعين للهجرة، قال معاذ:

ألا أيهـا الشارون قـد حان لامـرىءٍ
شـــرى نـفسَـــه لله أن يـتـــرحّـــلا،

أقَمْتُمْ بـــدار الخـــاطئين جـهـــالـــةً
وكـــلُّ امـرىءٍ منكم يُصـــادُ ليُقتـــلا

---

(١) ضغث: ضئيل لا خير فيه.

إنه يشجع من اقتنع برأيه، على الخروج دفاعاً عن هذا الرأي، فديار المسلمين غير الخوارج هي ديار جهالة، دار كفر، لا يجوز للشاري أن يدنس نفسه بقربها، وعليه للمحافظة على صفائه وطهارته أن يترك هذه الديار ويلتحق بصفوف المقاتلين.

وإذا حاول أحدهم التقاعسِ عن الخروج، وفضَّل القعود، جاءه من يحضّه عليه، ويذكّره ببأس الرحمن وانتقامه ممن تقاعس عن نصرة دينه، فلنستمع إلى «قطري» يخاطب «أبا خالد القناني» الذي خشي على عياله إنْ خَرَجَ، فآثر القعودَ، قال قطري:

أبا خالدٍ يا انْفِرْ فلستَ بخالدٍ
وما جعلَ الرحمنُ عُذراً لِقاعدِ
أتزعمُ أنّ الخارجيّ على الهدى
وأنت مقيمٌ بين لصٍّ وجاحدِ؟

وكانت ردود الناس عليهم تتراوح بين القبول للخروج والرفض له، كل حسب درجة اقتناعه بما يقال له، وحسب أوضاعه الإجتماعية الخاصة، إذ أننا نجد البعض «كعمران بن حطان» مثلاً يندفع متأثراً بما لاقاه «نافع» وأصحابه من مصاعب وما تحملوه من شقاء، فيرغب في الخروج على سننهم، متمنياً ملاقاة نفس مصيرهم: الاستشهاد في سبيل الله يقول عمران:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بغضاً
وحبّاً للخروج أبو بلالِ
ولو أني علمت بأن حتفي
كحتف أبي بلال لم أبالِ

٣ ـ رثاء القتلى:

غالباً ما كانت تنتهي المعارك، بين الخوارج وخصومهم، بموْتِ الشراة لقلة عددهم، وكان الرد من قبل أتباعهم يتخذ شكلين: الانتقام المباشر من جهة، ورثاء القتلى وطلب اللحاق بهم من جهة أخرى، يقول عمران في رثاء «مرداس بن أدية»:

يا عينُ بكّي لمرداسٍ ومصرعهِ
ياربَّ مرداسِ اجعلني كمرداسِ
أنكرتُ بعدك مَنْ قد كنتُ أعرفه
ما الناسُ بعدكَ يا مرداسُ بالناسِ

فعمران يتحرق أسىً على فراق أبي بلال الذي يُعتبر في نظر الشاعر مثالاً للإنسان الكامل، حتى ان «مرداساً» يتكرر اسمه ثلاث مرات في البيت الأول وهذا يدل على أهميته بالنسبة لابن حطّان، الذي أنكر بعده، لهول المأساة، كل من كان يعرفه من الناس، إذ أنهم ليسوا كمرداس في نظره، وجل ما يتمناه الشاعر هو اللحاق به باكراً على نفس الطريق.

ويقول «عيسى بن فاتك» في رثائه لمرداس أيضاً وأصحابه:

ألا في الله لا في الناسِ شالتْ
بداودٍ[1] وأخوته الجذوعُ
مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً
تحومُ عليهمُ طير وَقوعُ
إذا ما الليلُ أظلم كابَدُوه
فيُسْفِرُ عنهمُ وهم ركوعُ

فهو هنا يصوّر لنا تقوى أصحابه القتلى، وصمودهم الخارق أمام ضربات العدو، فيُقتلون ويمزّقون حتى تأتي الطيور فتنهش لحومهم الطرية التي زاد في رقتها وقوفهم الدائم بين يدي الله ركوعاً وسجوداً.

ثم إن هؤلاء الأصحاب يستحيلون في نظر الخوارج الباقين، منارات وأعلاماً، تنير لهم الطريق الذي نذروا انفسهم من أجله، كما يظهر ذلك في قول «حسان بن جُعدة» في رثاء شوذب الخارجي (بسطام اليشكري) وصحبه، الذين قتلهم مسلمة بن عبد الملك عام واحد ومئة بعد الهجرة، قال حسان:

---

(١) داود: هو أحد أصحاب مرداس في المعركة.

يا عينُ أذري دموعاً منك تسجاما[1]
وابكي صحابةَ بَسْطامٍ وَبَسْطاما
أسْقى الإلهُ بلاداً كان مصرَعُهم
فيها سحاباً من الوسمّي سَجّاما[2]

٤ ـ تكفير مخالفيهم:

إن موقف الخوارج من التحكيم والحكمين واضح، فقد رفضوا أن يحكِّم أحدٌ في كتاب الله، ومن فعل ذلك أو وافق عليه فهو كافر يستحق السيف أو التوبة.

يقول «فروة بن نوفل»:
نقاتلُ من يقاتلُنا ونَرضى
بحُكم الله لا حُكم الرجالِ
وفارَقْنا أبا حسنٍ علياً
فما من رجعةٍ أخرى الليالي
فحكَّمَ في كتاب الله عَمْراً
وذاكَ الأشعريَّ أخا الضَّلالِ

والحكم بالكفر على إنسان ما، في عصر ما زال قريباً من عهد الرسول، يوجب على المسلمين قتاله على كفره واعادته إلى دين الله أو القضاء عليه. لذلك طلبوا من عليّ

(١) تسجام: غزيرة ومتصلة.
(٢) الوسمي: أول مطر الربيع ـ السجّام: الغني بالخير.

التوبة ولمّا رفض تركوه وأعلنوا الحرب عليه وعلى كل المسلمين الذين لا يرون رأيهم، واعتبروهم جميعاً كفاراً ملحدين، ويصبح الاستشهاد من قبل الخوارج على أيدي هؤلاء القوم وسيلة لا تخطىء في الوصول إلى الجنة، كما يتضح ذلك من قول «أم عمران بن الحارث الراسبي» في رثاء ابنها لمّا قُتل:

الله أيّدَ عمراناً وطَهّرهِ
وكان عُمرانُ يدعو الله في السَحَرِ
يدعوهُ سراً وإعلاناً ليرزُقه
شهادةً بيدَي ملحادةٍ غدُرِ[1]

كما يبرز ذلك في قول «قطري بن الفجاءة» يصف يوم «دولاب» بين الأزارقة بقيادة نافع وبين أتباع الأمويين في البصرة، يقول قطري:

فلو شَهِدَتْنا يومَ ذاك وخيلُنا
تبيحُ من الكفّار كل حريمِ
رأتْ فتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم
بجناتِ عدنٍ عندهُ ونعيمِ

فشجاعة الخوارج الخارقة، ناتجة عن ذلك الإيمان المطلق بالعدل بعد الموت. ويشتد هذا الإيمان وتقوى تلك

---

(١) ملحادة: كثيرة الإلحاد، كقولنا رجل علاّمة: كثير العلم.

الشجاعة كلما أمعن العدو بالكفر، وغرق في العصيان، لذلك نراهم يخوضون أكثر معاركهم ضد الأمويين الذين رأوا فيهم النموذج الأكثر بعداً عن الدين، والأشد ايغالاً في المعصية.

٥ ـ التأسف لوقوع الخلاف بين فرقهم.

لم يحصر الخوارج موضاعاتِ أدبهم بما يتعلق بموقفهم من بقية الأحزاب وبما يسببه وما ينتج عنه، وإنما تعدوا ذلك إلى وصف الخلافات التي قامت بينهم في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، من ذلك ما قاله «زيد بن جندب» في الخلاف الذي حصل بين الأزارقة عندما انقسموا إلى فريقين: واحد مع قطريّ، وآخر مع عبد ربه الصغير:

قُلْ للمُحِلّيْنَ قد سُرَّتْ عُيونُكمُ
بفُرقةِ القومِ والبَغْضاء والهَربِ

كنا أناساً على دينٍ فغيّرنا
طُولُ الجدال وخلطُ الجدّ باللعبِ

ما كان اغنى رجالاً ضَلَّ سعيهُم
عن الجدالِ وأغناهم عن الخُطبِ

إني لأهَونكُم في الأرض مُضْطَرَباً
ما لي سوى فَرَسي والرُّمْحِ من نشبِ

فهو يوجه كلامه أولاً إلى خصومه من الأمويين وسواهم ممن أحلّوا الحرم قائلاً لهم: لقد هدأ خاطركم بهذا الانقسام

الذي أدى إلى قتلِ عبد ربه الصغير وهربِ قطري بن الفجاءة من المهلب بن أبي صفرة.

ثم يتابع كلامه موجهاً الحديث إلى قومه ممن لجأوا إلى الجدال والنقاش فأدى بهم ذلك إلى الفراق والانقسام وما كان اغناهم عن هذا الخلط بين الجد واللعب، فالجد هو الصراع والجهاد، واللعب هو التحاور والمناقشة في أمور تصرف عن الهدف الأسمى.

٦ ـ نقد الحياة عامة:

لقد تجلى ذلك في رفض الخوارج الحرصَ والجشع وحشدَ الأموال، كما يظهر ذلك من قول الطرمّاح بن حكيم:

عجبَاً ما عجبتُ للجامعِ المالَ يباهي به ويَرتَفِدُهْ
ويُضيْـعُ الذي يصيّـرهُ الله إليـه فليسَ يعتقـدُهْ
يومَ لا ينفعُ المخوَّلَ ذا الثروةِ خلانُه ولا وَلدُهْ
يومَ يؤتى به وخصماه وسطَ الجنّ والإنسِ رجلُه ويَدُهْ

إلا أن هذا النقد لذوي الثراء موجّه إلى خارج محيط الدائرة الخارجية، حيث ان هذه الجماعة لم تَشْكُ التفاوت بين الغنى والفقر كما يقول «الدكتور إحسان عباس» خاصة إذا أمعنا النظر في محتوى قول «مسلم بن عبيس» قائد الجيش الأموي في وقعة دولاب عندما قال قبل خروجه للناس: «إني

ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلّا سيوفهم ورماحهم».

ويتضح ذلك من قول عمران بن حطّان الذي رفض حياة اللهو والمجون السائدة في بعض أنحاء المجتمع بتشجيع من الخلفاء لصرفهم عن السياسة كما هو حاصل في الحجاز آنذاك، ويتمنى عمران لو أن هؤلاء انصرفوا إلى العمل الصالح، يقول:

حتى متى تُسقى النفوسُ بكاسها
رَيْبَ المَنونِ وأنتَ لاهٍ ترتعُ[1]
فَتَزَوَّدَنَّ ليوم فقرِك دائباً
واجمع لنفسِك لا لغيرِك تجمعُ

فهو يتوجه إلى تلك الجماعة من المسلمين الذين آثروا الحياة السهلة على تحمل المشقات، فانصرفوا إلى تصيّد الملذات، غير مكترثين بما يصيب الناس من ظلم واضطهاد وهوان، وهو يقارن بين جامع المال وجامع العمل الصالح الخيّر، فيجد أن الأول لن يفيد طالما سيورث الجامعُ للثروةِ ماله إلى الآخرين، بينما يؤكد أن الثاني هو الرابح وهو وحده الذي سيبلغ السعادة الأبدية.

وفي هذا المجال نذكر أن الخوارج تصدّوا لزملائهم

(١) ريب ـ المنون: شراب الموت.

الشعراء ممن احترفوا الرياء في القول تقرباً من السلطان واستدراراً لدراهمه، دون ادراك لما يجره ذلك من اذلال ومهانة، يقول عمران، وقد سمع الفرزدق يمدح أحد الولاة:

أيها المادحَ العبادَ ليُعطى
إنّ لله ما بأيدي العبادِ[1]

فاسأل الله ما طلبتَ إليهم
وارجُ فضلَ المقسّم العَوادِ

لاتقلْ في الجواد ما ليس فيهِ
وتسمِّ البخيلَ باسم الجوادِ

فالشاعر هنا ينتقد مبدأ التكسب في الشعر ليعلن أن الله وحده يستحق السؤال لأنه عدل خالص، له ما في السموات وما في الأرض، وهو المرتجى.

ولقد لجأ الأمويون إلى بذل الأموال الكثيرة على الجند، تشجيعاً لهم على محاربة الخوارج، كما فعل المهلب عندما طلب إلى أهل البصرة أن يكتبوا على أنفسهم كتاباً يدفعون بموجبه خراج ثلاث سنوات متتالية له، ليوزع منه فقط على الذين يخرجون إلى قتال الشراة، وقد سمع عمران مرة بعض الجنود يقولون: «ما لنا لا نقاتل الخوارج، أو ليست

(١) احسان عباس، شعر الخوارج (ص١٦).

اعطياتُنا دارّة؟» فقال عمران ينقد هذه الظاهرة مصوراً مدى الانحطاط الديني والخلقي عند هذه الجماعة لحظة تُفَضِّلُ المالَ على الإيمان:

فلو بعثتَ بعضَ اليهودِ عليهِمُ
يؤمهمْ أو بعضَ من قد تَنَصّرا[1]
لقالوا رضينا إنْ اقمتَ عَطاءَنا
وأجْريتَ ذاكَ الفرضَ من بُرِّ كَسْكَرا[2]

ب - في النثر:

لم يقتصر الخوارج في أدبهم على الشعر، بل استعانوا بفنون أدبيه أخرى شملت الخطابة والرسالة والمناظرة، فضمنوها آراءهم وأفكارهم، فما هي موضوعات أدبهم النثري؟.

١ - الخطابة:

لعبت الخطابة دوراً بارزاً في الأحداث التي صاحبت العرب في تطورهم عبر العصور التاريخية المختلفة، وكانت تشكل مع الشعر سلاحاً فعالاً لتحقيق غايات القبائل أولاً ثم الأحزاب السياسية فيما بعد.

وإذا كانت القصيدة هي وسيلة الدعاية المتوفرة لكل

---

(١) يؤمهم: يكون عليهم إماماً. والشعر من احسان عباس م.س (ص٣٥).
(٢) بُرّ: قمح - كَسْكَرْ: اسم منطقة مشهورة بالخصب.

حزب، فإن الخطابة هي وسيلة الاتصال السياسي مع الناس لاستمالتهم إلى مبادىء هذا الحزب وأهدافه.

وكما عبر الخوارج عن آرائهم شعراً، كذلك عبّروا عنها خطابة، وأحاديث، ثم إن تحرر الخطابة من الوزن والقافية جعلها أكثر مرونة وأيسر تناولاً في التعبير من الشعر وشروطه، وأهم الموضوعات التي تناولتها خطبهم:

أ ـ رأيهم بالخلفاء:

اعتبر الخوارج أن عدل الرسول ووصاياه بالخير لم يُعمل بها إلا زمن أبي بكرٍ وعمر بن الخطاب، أما عثمان فقد سار على سيرة صاحبيه مدة ست سنوات ثم تحوّل بعدها عن السنّة الصحيحة التي رسمها النبي وخلفاؤه من بعده.

ويتضح رأيهم في خطبة «عبيدة بن هلال اليشكري» في مكة عندما ذهب الخوارج لنصرة ابن الزبير فيها، يقول عبيدة، بعد أن ذكر عهدي أبي بكر وعمر بالخير:

«أما عثمان، فقد أخذ فيْءَ الله الذي افاءَه عليهم، فقَسَمهُ بين فُسّاق قريش ومُجّان العرب»[1].

ويقول «صالح بن مسرّح» كذلك في نفس الموضوع:

«. . . . . وولِيَ من بعده عثمانُ، فاستأثر

---

(١) أحمد الحوفي ـ أدب السياسة ـ (ص٣١٩).

بالفيء، وعطَّلَ الحدودَ، وجارَ في الحكم، واستذَلَّ المؤمنَ، وعزّزَ المجرمَ، فسارِ إليه المسلمون فقتلوه، فبرىء الله منه ورسولُه وصالحُ المؤمنين، وولي أمرَ الناسِ بعَده عليٌّ بنُ أبي طالب، فلم ينشبْ أن حكَّم في أمر الله الرجال، وشكَّ في أهلِ الضّلالِ، وركَنَ وادَّهَنَ، فنحن من عليّ وأشياعهِ براءٌ»[1].

ب : تصوير شجاعتهم :

لم تخل خطب الخوارج، كما لم يخل شعرهم من وصف لشجاعة المقاتلين وتقدير تضحياتهم في سبيل إقامة العدل، ولنستمع إلى أبي حمزة الخارجي (المختار بن عوف الأزدي) في أهل المدينة سنة مئة وثلاثين للهجرة، يقول عن أصحابه: «. . . . . حتى إذا رأوا السهامَ قد فُوّقتْ، والرماحَ قد أُشرعتْ، والسيوفَ وقد انتُضيتْ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت، واستخفّوا بوَعيد الكتيبة لوَعيد الله، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة، ولقوا شَبا الأسنّة وشائِك السِّهام وظبـاتِ السيوفِ بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قُدُماً، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعُفّر جبينه بالثرى، وانحطّت عليه طير السماء، وتمزّقته سباع

(١) أحمد الحوفي م. س (٣٢٧).

الأرض، فطوبى لهم وحُسن مآب»[1].

إن هذه المعاني التي تصور شجاعة الخوارج تتكرر في شعرهم وخطبهم، لأن هناك جامعاً مشتركاً يجمع بينهم وهو اعتبار الموت طريق الوصول إلى الراحة الأبدية.

جـ : الحض على الجهاد:

توجه الخوارج في خطبهم إلى الناس، بدعوتهم إلى الالتحاق بهم، مذكرين إياهم بما فرض على المسلم من جهاد، وبما يناله من فضل عند ربه إذا قام بواجبه.

من ذلك ما نجده في خطبة «حيان بن ظبيان» في جمع من الخوارج عام ثمانية وخمسين للهجرة. يقول: «إن الله عزّ وجلّ كتب علينا الجهاد .... فَمن منكم يريد الله وثوابه فليسلك سبيل أصحابه وإخوانه، يؤتِه الله ثواب الدنيا وحسنَ ثواب الآخرة».

ومن ذلك أيضاً ما نجده في خطبة عبد ربه الصغير حيث يقول لأصحابه: «......... فالقوا عدوّكم، فإن غلبوكم على الحياة، فلا يغلبُنّكم على الموت، فتلقّوا الرماح بنحوركم، والسيوف بوجوهكم، وهَبُوا أنفسكم لله في الدنيا، يهبْها لكم في الآخرة»[2].

---

(١) م. س (٣٢٣).
(٢) أحمد الحوفي ـ أدب السياسة (٣٢٦).

ونجد هذه المعاني نفسها في خطبة «صالح بن مسرّح» أيضاً.

د : الحديث عن التقوى والأخلاق:

لجأ الخوارج في خطبهم، كما في أشعارهم إلى التغني بقيم إخوانهم، المستمدة من القرآن والتعاليم النبوية، وذلك استدراراً لرأفة الناس عليهم واستدعاء لهم على اللحاق بهم.

نلاحظ ذلك في أكثر خطبهم وخاصة في خطبة أبي حمزة الخارجي في المدينة حيث يقول عن أصحابه: «شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضةٌ عن الشرِّ أعينُهم ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم، أنضاءُ عبادةٍ وأطلاحُ سهَر، باعوا أنفساً تموت غداً بأنفسٍ لا تموتُ أبدا».

فأبو حمزة يصوّر إخوانه بأنهم شبابٌ ولكن العبادة والتقشف والزهد في الحياة حوّلهم إلى كهول، فعيونهم تغضّ عن الشر لانشغالها بالخير، وأرجلهم لا طاقة لها على التوجه نحو الباطل فهم انصرفوا إلى العبادة ليلاً ونهاراً حيث انهم اعتمدوا تجارة رابحة مع ربهم فباعوه أنفسهم التي هي ميتة لا محالة بالسعادة الأبدية في جنات النعيم.

٢ ـ التراسل:

لعبت المراسلة دورها الأوفى في الحياة السياسية العربية منذ أيام الرسول، وقد تطور هذا الفن في العصرين

الإسلامي والأموي حتى أصبح له ديوان خاص في عهد عبد الملك بن مروان.

ولجأ الخوارج إلى استعمال الرسائل في نقل آرائهم إلى الغير، أو في توضيح مواقفهم تجاه بعضهم البعض، وأهم موضوعات التراسل عندهم:

أ: الخلاف بين الفرق الخارجية:

نجد ذلك واضحاً في رسالة «نجدة بن عامر الحنفي» إلى «نافع بن الأزرق» عقب الخلاف الذي حصل بينهما وأدى إلى انشقاقهم المعروف قال نجدة: «............. تجرّدَ لك الشيطان ولم يكن أحدٌ أثقلَ عليه وَطْأةً منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك، فغويت، فأكفرتَ الذين عذَرَهم الله في كتابه من قَعِدِ المسلمين وضَعفَتِهم........»[1].

بيّن نجدة في هذه الرسالة لماذا أعلن انفصاله عن الأزارقة، وفنّد آراء نافع واتهمه بالابتعاد عن جادة الحق واتباع الشيطان، مستشهداً بآيات القرآن التي تعزر العاجز والمريض عن الجهاد في سبيله.

وردّ عليه نافع برسالة ضمنّها هو أيضاً رأيه، داعياً نجدة إلى التوبة والعودة إلى الأزارقة، وقد استشهد هو أيضاً بآيات

---

(١) احمد الحوفي (٤٠٣).

من القرآن الكريم ليثبت رأيه، يقول نافع: «. . . . . أما هؤلاء القَعد، فليسوا كما ذكرتَ ممن كان بعهد رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين، لا يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً . . . .»[1].

ب : الجدل مع بقية الأطراف:

حاول كلُ حزبٍ من الأحزاب المعروفة في العصر الأموي السيطرةَ على الموقف. وكان يلجأ، لبلوغ هذا الهدف، إلى وسائل كان التراسل إحداها.

من ذلك ما فعله الحجاج بن يوسف عندما أرسل كتاباً إلى قطري بن الفجاءة، يدعوه فيه إلى الرجوع عن رأيه، والالتزام بطاعة الأمويين. فيرد عليه قطري بكتاب يقول فيه: «. . . . . . . ذكرتَ في كتابكَ اني كنتُ بدوياً استطعمُ الكِسْرةَ، وأبدُرُ إلى التمرة؟ ووالله لقد قلتَ زوراً، بل الله بصّرني من دينه ما أعماك عنه، إذ أنت سائح في الضلالة، غَرِقٌ في غمرات الكُفر»[2].

جـ : الدعوة إلى الجهاد:

إن هذا النوع من الحض على الجهاد كان سلاحاً يستعمله كل من الأمويين وخصومهم في سبيل كسب مزيد من

---

(١) م. س (٤٠٥).   (٢) م. س (٤٠٨).

المؤيدين إلى جانبهم، ونجد في رسالة نافع بن الأزرق إلى أهل البصرة نموذجاً منه حيث يقول: «........... ففيمَ المقام بين أظهُرِ الكفار؟ ترون الظلمَ ليلاً ونهاراً وقد ندبكمَ الله إلى الجهاد ....».

٣ ـ التناظر:

إذا كانت الخطابة هي وسيلة الخطيب لإيصال رأيه إلى سامعيه، ومحاولة إقناعهم بهذا الرأي، وكذلك الرسالة التي يستهدف صاحبها أن يضمنها معتقداته وأفكاره علها تؤثّر فيمن تصل إليه فترسِّخَ لديه قناعة أو تزيحه عن موقف؟ فإن التناظر هو أقرب الوسائل لتبادل الآراء والمعتقدات ومحاولة كلٍ من المتناظرين إقناع خصمه بالحجج والبراهين التي يقدمها بصواب توجهه وصدق عزيمته.

ويرى «ابن تيمية» في كتابه «العقيدة الواسطية» أن المسلمين في صدر الإسلام «كانوا يرون أن التناظر والتجادل في الاعتقاد يؤدي إلى الانسلاخ عن الدين، من أجل ذلك كان المسلمون عند وفاة الرسول على عقيدة واحدة إلا من كان يُبطن النفاق؟ ولم يظهر البحث والجدل في مسائل العقائد إلا أيام الصحابة حين ظهرت بدع وشيع اضطر المسلمون إلى مدافعتها ومن ثم تفرقت الفرق ونشأ علم الكلام حجاجاً للمبتدعة الحائدين عن طريق السلف والمخالفين للدين».

ولقد أفاد الخوارج من هذا الفن الأدبي حيث أنهم غالباً ما كانوا ـ أثناء المعارك مع الخصوم ـ يلجأون إلى مثل هذا النوع من الحوار، علَّهم بذلك يقنعون من يتوجهون إليه بحديثهم، بصواب فكرتهم واستمالة عدوّهم إلى جانبهم.

وقد حفلت كتب التاريخ والتراث بأخبار مناظراتهم للولاة والقواد رغم ما كان بين الطرفين من اختلال في موازين القوة ومناعة الموقف العسكري. لكن ما كان يعوّض هذا الاختلال لدى الشراة ذلك الإيمان القاطع بصحة المعتقد، وتلك الشجاعة النادرة في مواجهة أشد المواقف حرجاً.

ولقد تشعبت موضوعات تناظرهم مع الآخرين بتشعب مناحي الحياة عامة، لكنها كانت أبرز ما تظهر في الدفاع عن العقيدة، وإظهار أخطاء الآخرين.

ولعل مناظراتهم الطويلة مع علي بن أبي طالب، ومع عبد الله بن عباس، عند بداية خروجهم مايُظهر أهمية هذا الشكل الأدبي في إبرازهم لوجهة نظرهم والدفاع عنها[١].

ويروي «المبرّد» في كتابه «الكامل في اللغة والأدب»[٢] طائفة من محاوراتهم مع الأمويين فيقول في احداها: «يروى أن رجلاً من أصحاب زياد (بن أبيه) قال: خَرَجْنا في جيشٍ

---

(١) راجع في هذا العدد القسم المتعلق بتاريخهم السياسي من هذا البحث.
(٢) الجزء الثاني ص: (١٨٤ ـ ١٨٥).

نُريدَ خراسان، فمررنا بآسكَ فإذا نحن بهم[1]: ستة وثلاثون رجلاً، فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ فوقف أخي ببابه فقال: السلام عليكم. فقال مرداس (أبو بلال): وعليكم السلام. فقال لأخي: أجئتم لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خراسان. قال: فأبلغوا مَن لَقِيكُم أنّا لم نخرج لنفسدَ في الأرض، ولا لنرّوعَ أحداً ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا. ثم قال: أنُدِبَ أحدٌ إلينا؟ قلنا: نعم، أَسْلَمُ بنُ زُرْعَةَ الكلابي. قال أبو بلال: فمتى ترونه يصل إلينا؟ قلنا: يوم كذا وكذا. فقال: حسْبنا الله ونعمَ الوكيل.

فلما وصل «أسلم» صاح به أبو بلال: اْتقِ الله يا أسلمْ، فإنّا لا نريد قتالاً، ولا نحتجن فيئاً، فما الذي تريد؟ قال: أريد أن أردكم إلى ابن زياد. قال مرداس: إذاً يَقْتُلَنا. قال: وإن قَتَلكم؟ قال: تُشْرِكَهُ في دمائنا. قال أسلم: إني أدين بأنه محقٌ وبأنكم مُبْطِلُون. فصاحَ به «حُريثُ بن حَجّل»: أَهُـوَ مُحِقٌّ وهو يطيع الفَجَرة وهو أحدهم، ويقتل بالظِّنّه ويخصُّ بالفيء ويجور في الحكم؟

ويروي «أبو الفرج الأصبهاني» في كتابه «الأغاني»[2] ما يلي: «كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن

---

(١) أي الخوارج.

(٢) الجزء السادس، ص: (١٤٩).

أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيْجُ بعضهم بعضاً. فتواقف يوماً «عبيدة بن هلاك اليشكري» و «أبو خرابة التميمي» وهما في الحرب.

فقال عبيدة: يا أبا خُرَابة، إني سائلك عن أشياء، أفتصدقُني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمنتَ لي مثل ذلك، قال: قد فعلتُ. قال: سلْ عمّا بدا لك. قال عبيدة: ما تقولُ في أئمتكم (يقصد بني أمية)؟.

قال أبو خُرابة: يبيحون الدمَ الحرام، والمال الحرام، والفرج الحرام.

قال عبيدة: ويحك! فكيف فعلهم في المال؟ قال: يجبونه من غير حلِّه، وينفقونه في غير حقّه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونَهُ مالَه، ويمنعونَهُ حقَّهُ، و أُمَهُ، قال: ويلك يا أبا خُرابة! أفمثل هؤلاء تتبع؟ . . . .».

وقد قال الحجّاج لرجل من الخوارج يوماً: إني لأبغضكم. فقال له الخارجي: أَدْخَلَ الله أشدَنا بُغضاً لصاحبه الجنةَ.

تلك هي أهم موضوعات الخوارج الأدبية، شعراً ونثراً، وقد عبروا من خلالها عن آرائهم ومبادئهم، فشكوا من الظلم، وحضّوا الناسَ على الخروج معهم والجهاد في سبيل

إقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة بين جميع المسلمين.

٤ ـ خصائص الأدب الخارجي:

لقد كان لموقف الخوارج السياسي من مسألة التحكيم، اثره البعيد في نتاجهم الأدبي إذ صيغ كثير منه حول تلك المسألة المهمة في التاريخ الإسلامي، فانتقدوها، واتهموا من وافق عليها بالكفر والإلحاد، ودعوا إلى نقضها بقوة السلاح، فقتلوا علياً وحاولوا قتل معاوية وعمرو بن العاص، ورفضوا تحكيم الرجال في أمر الخلافة وأعلنوا «لا حَكَم إلا الله».

وجد الخوارج في مبادىء النظام الإسلامي نموذجاً كاملاً للوحدة بين جميع المسلمين، ونظروا إلى الخلفاء، فوجدوهم يفرقون بين المسلم والمسلم، وبين القبيلة والقبيلة، فيعززون مكانة العصبيّة في قلوب العرب بعد أن قضى عليها الدين ردحاً من الزمن، وهذا ما دفع الخوارج إلى رفض هذه السياسة التي تدعو إلى التشتت والانقسام، فنادوا بالمساواة بين جميع عباد الله وأعلنوا أنّ «أَولى عبادِ الله بالله مَنْ شَكَرْ» كما يقول أحد شعرائهم ـ عُمران بنُ حَطّان ـ كما رفضوا عادات البدو قبل الإسلام من شراب ولهو وغناء، واستبدلوا بها تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والجهاد في سبيل الله.

وكان للقرآن والحديث أثر بيّن في جميع آثار الخوارج الأدبية، حيث نجد بعض شعرائهم يصوغون آيات القرآن في أبياتهم وقصائدهم، كما نجد بعض خطبائهم يكثرون من ذكر هذه الآيات حتى ان بعضهم كان يقصر خطبته عليها دون زيادة ولا نقصان.

لقد كان همّ الخوارج إحقاق تعاليم الدين الإسلامي كما فهموها، بصرف النظر عمن يتولى الأمر، ما دام مقيماً لأصول ما يؤمنون به، وقد نتج عن ذلك أن أكثر أدبهم قيل في العصر الأموي لأن معاركهم السياسية والعسكرية قامت في: هذا العصر بشكل خاص، بينما خفت صوتهم مع العباسيين وغاب أدبهم نتيجة ضعف قوتهم العسكرية واعتناق أكثرهم لمبدأ القعود والتقية.

ولقد طُبع أدب الخوارج بخاصة فريدة، وهي التلازم الكامل أو شبه الكامل بين القول والعمل، بين الفن والعقيدة، بين الأدب والحياة.

ومهما يكن من أمر، فإن باستطاعتنا ملاحظة الخصائص التالية في أدب الخوارج:

أ ـ ضياع الكثير منه:

لقد تعرض الخوارج، كفئة سياسية، لشتى أنواع الضغط والتنكيل. ونظر الناس إليهم نظرة خوف وحذر، لأن

«الشراة»، برأي الخلفاء، خارجون على الدين الإسلامي، ولذا لم يسلم أدبهم من هذه الحملة، فخضع لكثير من الاهمال والازدراء.

يتضح ذلك من موقف الرواة والمؤرخين منهم عموماً. فعندما يدور الكلام على شخصية من شخصياتهم الأدبية أو العسكرية، أو على معركة من معاركهم، فإن المؤرخ غالباً ما يتبع كلامهم بكلمة «لعنهم الله»[1]. أو يقولون عن عقائدهم وفروعهم بأنها قامت على «أصول فاسدة»[2].

وهذا ما حمل الناس على عدم الإكتراث بأدبهم شعراً ونثراً، إلا ما وجدناه من مقطعات شعرية متفرقة وأخبار حربية وبعض الخطب في انحاء متفرقة من كتب الأقدمين ومؤلفاتهم[3].

ب ـ السياسة الدينية:

كان أدب الخوارج دعوة لمذهبهم السياسي، الديني، واحتجاجاً له، ونقضاً لمذاهب خصومهم، كما أنه كان تصويراً صادقاً لشجاعتهم وبطولتهم واستهانتهم بلقاء الموت، ومن ذلك قول قطري مناجياً «ذا العرش»:

---

(١) الأصبهاني ـ الأغاني ـ ج١٠ و١٦ و٢٠ في مواضع متفرقة.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ج٣ . ص: (١٧٠).
(٣) راجع مقدمة الفصل حول «آثار الخوارج الأدبية».

أَذَا العرشِ إنْ حانت وَفاتي فلا تَكُنْ
على شَرْجَعٍ يُعلى بخُضْرِ المطارِفِ
ولكنْ أحنْ يــومي سعيـداً بعُصبــةٍ
يُصــابون في فـجٍّ من الأرض خائف

ومن أجل التهافت على الموت للقاء اليوم الموعود، نجد عندهم تلك النغمة القوية التي تصوِّر استطالة الحياة أي التبرُّم بانتصار الزمن. تقول «أم حكيم»[1]:

أحمل رأساً قد سئت حَمْلهُ.
وقد مللتُ دهنَهُ وغَسْلَهُ.
ألا فتىً يحملُ عنيّ ثقلَهُ.

ويقول: «الحويرث الراسبي»:

أقــولُ لنفسي في الخــلاءِ ألــومُهــا:
هَبِلْتِ دَعيني قد مللتُ من العمرِ[2].

وفي الذروة من ذلك قول عمران بن حطّان:

أفي كــلِّ عــامٍ مـرضـةٌ ثم نقهــةٌ
وينعى ولا يُنعى متى ذا إلى متــى؟

---

(١) أم حكيم: هي إحدى الخارجيات اللواتي خضْنَ المعارك إلى جانب الرجال البواسل.
(٢) هبلتِ: دعوة عليها، أي اتركيني أموت.

ولعل أوضح دعوة لملاقاة وجه الرحمن واختصار المسافة بين الحياة الدنيا وما فيها من شرور وظلم، والحياة الآخرة وما فيها من عدالة ونعيم، يمثلها «صالح بن مسرِّح» في خطبته أمام الصفرية حيث يقول: «فَتَيسَّروا ـ رحمكم الله ـ لجهاد هذه الأحزاب المتخربة وأئمة الضلال الظَّلمة، والخروج من دار الفناء إلى دار البقاء، واللحاق بإخواننا المؤمنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة، ولا تجزعوا من القتال في الله، فإن القتلَ أيْسرُ من الموت، والموتُ نازل بكم».

إن هذه النزعة الشديدة نحو الاستشهاد هي ما يميّز عامة الخوارج ـ خاصة في بداية عهدهم ـ عن سائر الفِرق الاسلامية، حيث رأت الشّيعَةُ أن التَقِيّةَ واجبة عندما يكون الخروج طريقاً للهلكة ليس إلّا، ورأت السُّنّةُ أن الصبر على المكاره هو طريق الخلاص، بينما رأت الصوفيّةُ ـ فيما بعد ـ أنّ تقصير المسافة بين الله والإنسان يتم قبل الموت بالاتحاد والفناء فيه.

جـ ـ تأثرهم بالقرآن:

لقد اتصلت ثورات الخوارج بمبادىء الدين الإسلامي اتصالاً وثيقاً، يتّضح ذلك من كثرة استشهاداتهم بالقرآن والحديث فيما يقولون من شعر ونثر.

وقد صوّر أبو حمزة الخارجي أصحابه بقوله: «......... قد نظَر الله إليهم في جوف الليل، مُنحَنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن، كلما مرَّ أحدهم بآيةٍ من ذكر الجنّة بكى شوقاً إليها، وإذا مرّ بآية من ذكر النار شهقَ شهْقةً كأنّ زفيرَ جهنم بين أذنيه».

ويقول عيسى بن عاتك:

همُ الفئةُ القليلةُ دون شكٍّ
على الفئةِ الكثيرةِ يُنصَرونا

وهو تأثر واضح بقوله تعالى: ﴿وكم من فئةٍ قليلة غلبَتْ فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[1].

كما يبرز ذلك في قول عمران:

ونحن بنو الإسلام والله واحدٌ
وأَوْلى عبادِ الله بالله مَنْ شَكَرْ

ففيه تضمين لمعنى الآية الكريمة: ﴿إنَّ أكرَمكُم عند الله أتقاكُم﴾.

د ـ تمسُّكهم بالرابطة الجديدة:

ونتج عن ذلك التأثر بالقرآن، أن خلت أبياتهم وقصائدهم وخطبهم مما يدور حول العصبّية القَبلية التي

---

(١) سورة البقرة. (آية ٢٤٩).

عُرفت في أدب الجاهليين، وصارت موضوعاتهم تستقي من الإسلام، فقد تحولّ فن المديح ـ القديم ـ عندهم إلى تصوير تقى الإخوان وشجاعتهم في الدفاع عن المبدأ الالهي الذي بات يشكل نقطة الفصل بين الطلاح والفلاح، ويتضح ذلك من قول عمران في موقعة «ميجاس» قرب الأهواز، وكان أميرهم يومها أبو بلال، مرداسُ بن أدية، يقول عمران:

وإخــوةٌ لـهم طــابتْ نُفـوسُـهُـمُ
بالموتِ عند التفافِ الناسِ بالناسِ
والله مـا تـركـوا من منبـعٍ لهُــدى
وما رَضُوا بـالهُوينـا يوم ميجـاس[1]

حيث نرى الشاعر يتكلم عن الإخوة الشراة، مذكِّراً من بقي منهم بأن السابقين لم يتوانوا عن نصرة الحق، خوفاً من الموت، بل أقبلوا عليه كارهين للظلم، مقدّمين في سبيل ذلك نفوسهم الأبية التي ما استقت إلا من منابع الهدى والصلاح. كما يتضح هذا التمسك بالرابطة الجديدة في أشعار عمرو بن الحصين، الفارسي الأصل، الخارجي المذهب، حيث لا نجد لذكر جنسه وأصله أثراً فيما يقول[2].

---

(١) الهوينا: المهانة والذل.

(٢) راجع أشعاره في «شعر الخوارج» للدكتور احسان عباس. ص (٨٤ ـ ٩٠).

ولم يقتصر ذلك على الشعر، بل تعداه إلى النثر أيضاً حيث خلَت خُطبهَم إلا من وصف للإخوان الصابرين على مظالم الحكام وجور الزمن، المدافعين عن الحق بعزيمة لا تُحدّ . . . . فهذا عبد الله بن يحيى (طالب الحق) يقول في خطبة له موجهاً كلامه إلى اليمنيين سنة مئة وتسع وعشرين هجرية:

«. . . . . أيها الناس، إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جَنْب الله تعالى، يُقتلون على الحق في سالف الدهور شهداءَ، فما نسيَهم ربُهم، وما كان رَبُك نسِيّا . . . .»[1] إذاً، هؤلاء هم الخوارج في نظر ابن يحيى، جماعة قليلة العدد، اصطفاها الله من أهل العلم لتقوم بواجب التبشير والهداية، وكتب عليها الألم والمشقة في الحياة الدنيا، لتفوز بالآخرة وتنال جزاءها خير الجزاء.

هـ ـ رفضهم التكسب في الشعر:

إن إيمان الخوارج بمبدئهم، وكفاحهم المرير من أجله، جعلهم يرفضون مبدأً شاع منذ العصر الجاهلي، وهو التكسب في الشعر، بغض النظر عما إذا كان الممدوح

(١) أحمد الحوفي ـ أدب السياسة (٣٣٠).

يستحق المديح أم لا، طالما أن العطاء والنوال مضمون الوصول في آخر القصيدة.

ولذا فقد حارب الخوارج هذا التوجه ودعوا في المقابل إلى طلب العون والمساعدة ممن لا تغني عنه خزائن الأرض شيئاً. وهذا عمران بن حطان يقول:

أيها المادحُ العبادَ ليُعطى
إن لله ما بأيدي العبادِ
فاسألِ الله ما طلبت إليهم
وارجُ فضلَ المقسّم العوّادِ
لا تقُلْ في الجواد ما ليس فيه
وتسمِّ البخيل باسم الجوادِ

كما أن هناك ميزة أخرى في أشعارهم، نتجت عن هذا التوجه البعيد عن التزلف والكذب، أعني ميزة الصدق وقول الحقيقة، ولذا خلت معظم قصائدهم من المجاز والصور البعيدة التصديق. يقول عمران لزوجه «جمرة» ابنة عمه:

يا جمرَ إني على ما كان من خُلقي
مُثْنٍ لخلاتِ صدقٍ كلها فيكِ[1]
الله يعلمُ أني لم أقلْ كذباً
فيما علمت وإني لا أزكّيكِ

---

(١) خلات صدق: صفات حسنة.

فالصدق في القول، والإخلاص في العمل، هما مرشد الخارجي في كل ما يقوم به من مهام تنضح بالتضحية وفي ما ينتجه من أدب.

أو كقول عمران أيضاً:

لـو كنتُ مستغفـراً يــومـاً لــطاغيـةٍ
كنتُ المقّـدمَ في ســرّي وإعــلاني
لـكـنْ أبـــتْ ذاك آيـــاتٌ مــطّهــرةٌ
عنـــد التــلاوة من طــهَ وعُمــران.

فصدقهم وابتعادهم عن التزلف والريـاء، ناتـج عن تعلقهم الشديد بما أنزل في القرآن، الذي هو تعبير عن العدل الكلي، فمن تمسَّك به ناصرَ هذا العدل وعجّل في تطبيقه بين البشر:

و ـ رقة العواطف وقوتها:

كان الخوارج بمجملهم من الأعراب والقرّاء، ولذلك توفرت لهم سهولة التعبير وقوتـه المستمدتان من القرآن ولغة البادية، مصدري اللهجة الصحيحة.

ثم إن أكثر أدبائهم كانوا من المقاتلين، الذين قرنوا القول بالعمل، ولذلك جاء شعرهم يطفح بحرارة عاطفية دينية لم يشهدها أدب سواهم من الأحزاب والفرق الإسلامية، الذين

كان أكثر شعرائهم ينطقون بالشعر لقاء أجر يدفع لهم دون أن يكون لهم في غالب الأحيان صلة حميمة بالممدوح.

ولنستمع إلى هذا العِتاب الرقيق والنصح الهادىء يقدمه قطري بن الفجاءة إلى أحد اخوانه، سبرة الجعدي، الذي استطاع الحجّاج بن يوسف، عدو الخوارج الأول، أن يستميله إليه ويجالسه في قصره، يقول قطري:

فـراجِعْ أبـا جعـدٍ ولا تـكُ مُغضيـاً
على ظلمةٍ أعشت جميع النواظر[1]
وتُب تـوبـةً تهـدي إليـك شهـادةً
فـإنـك ذو ذنـبٍ ولسـتَ بكـافـر
وسِـرْ نحـونـا تلقَ الجهـادَ غنيمـةً
تفِـدْكَ ابتيـاعـاً رابحاً غيـرَ خـاسـرِ
هي الغاية القصـوى الرغيبُ ثـوابُها
إذا نـال في الدنيـا الغنى كلُ تـاجرِ

فإننا نجد في هذه الأبيات رقة وعذوبة تتمثلان في تلك الدعوة الصادقة، الصادرة من القلب، يقدمها شاعر إلى أخ عزيز، أخطأ، وعليه الرجوع عن هذا الخطأ البسيط الذي يمكن تصحيحه بسهولة وبساطة، وذلك بالخروج عن طاعة الطاغية والالتحاق بركب المجاهدين الذين تغني صحبتهم

---

(١) مغضياً: مطبقاً جفنيك حتى لا ترى - وأعشت: جعلتها لا تبصِر.

عن صحبة الأشرار، ويكون الربح معهم ـ في الآخرة ـ أوفر وأعظم من أي ربح آخر.

وتذكر كتب التاريخ أن «سبرة» يقرأ الكتاب، فيبكي، ويركب فرسه، ويلحق «بقطري» تاركاً للحجاج كتاباً فيه:

فـاقـبلتُ نـحـو الله بـالله واثـقـاً
وما كَربَتي غيـرُ الإلـه بفـارجِ

وتبرز تلك العاطفة الجيّاشة في خطبهم التي أثـرت عنهم، ذلك أن الخطبة تتوجه مباشرة إلى السامعين، وبذلك تتحول إلى صلة وصل بين قلب الخطيب، وقلوب سامعيه، ويغدو أثرها أقوى، ومفعولها أشد من وقع القصيدة أو الكتاب الذي يرسل من مكان إلى آخر عبر الأودية والشعاب فيخسر كثيراً من حرارة القلب وتوهج العاطفة.

ولنستمع إلى أبي حمزة في حديثه عن أصحابه: «. . . . . . . شبابٌ والله مُكتَهِلون في شبابهم، غضيضةٌ عن الشر أعينُهم، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم، أنضاء عبادة واطلاح سهر، باعوا أنفساً تموت غداً بأنفسٍ لا تموت أبداً».

ألا نحسُّ عند قراءة هـذه المقطوعة بمدى الصدق والإيمان الذي يطفح به قلب هذا القائد، فينقله إلينا بكلمات تتسابق إلى اللسان وقد غلّفتها رقة متناهية وبساطة وعذوبة نادرة؟.

ز ـ الابتعاد عن التقليد:

فقد درج العرب منذ الجاهلية على التطرق إلى موضوع أساسي تدور حوله قصائدهم، ولكنهم للوصول إلى ذلك كانوا يعرجون على أكثر من فكرة فيبدأون القصيدة بغزل أو نسيب، ثم بوصف للفرس أو الجمل أو ما يشبه ذلك، حتى إذا أنسوا أنه لم يعد هناك ما يمكن اضافته إلى تلك القصيدة من موضوعات، عطفوا على الفكرة التي كانت أساساً هي الدافع لهم للنظم والإلقاء.

أما شعر الخوارج فقد تميزّ بتلك الوحدة الفكرية التي تشد أبيات القصيدة بعضها إلى بعض حول هدف واحد وغاية واحدة، قلما تجاوزوها إلى غاية أخرى، وحتى لو افتتح بعضهم قصيدته بشيء من الغزل أو النسيب فإن ذلك يكون عبر الجمع بين الحبيبة وقدسية الجهاد في وحدة موضوعية تامة. فلنستمع إلى قطري يقول:

لعمرِك إني في الحياة لزاهِدٌ
وفي العيشِ ما لم ألقَ أُمَّ حكيمِ
من الخفراتِ البيضِ لم يُرَ مثلها
شفاءً لذي بثٍّ ولا لسقيمِ[1]

---

(١) الخفرات: م: الخَفِرة: الخجولة. ـ البث: الشوق.

ولـو شهـدَتني يـومَ دولابَ أبصـرتْ
طِعانَ فتىً في الحرب غيرِ ذميمِ[2]
رَأَتْ فتيـةً بـاعـوا الإلــه نفـوسهم
بـجـنــات عــدنٍ عـنــده ونعيـمِ

إذاً لم تعد القصيدة عندهم إلا شكلاً من الإيمان الذي يغلف كل موضوعات أدبهم وشتى أفكارهم وخواطرهم.

حـ ـ تشابك نسبـة القصائد عندهم:

استقى الأدب الخارجي موضوعاته ومعانيه من ينبوع واحد هو القرآن والسُّنّة، وهدف إلى غاية واحدة هي القضاء على الظلم والجور والفساد، ولذلك جاءت قصائدهم متشابهة إلى حد بعيد، في الموضوع والمعنى والأسلوب أيضاً، وهذا ما جعل المؤرخين والرواة يقعون في مشكلة نسبة قصائدهم إليهم، فغالباً ما ينسبون القصيدة إلى أكثر من شاعر، فأبـو الفرج الأصبهاني يورد لنا أمثلة على ذلك، فيقول عن هذه الأبيات:

لـقـد زادَ الـحـيــاةَ إلـيّ حُـبّـاً
بـنــاتـي انـهـن مــن الـضـعــافِ
مخــافـة أن يــذُقْنَ البؤسَ بعــدي
وأنْ يـشــربْنَ رنـقــاً بعــد صــافِ

---

(١) يوم دولاب: معركة جرت في «دولاب». ـ ذميم: مذموم.

وأن يَعْرينَ إن كُسيَ الجواري
فيُبدي الضمرُ عن كُومٍ عِجافِ
ولولاهُنّ قد سوَّمتُ مهري
وفي الرحمن للضعفاء كافِ

يقول الأصبهاني: إنّ أبا عمرو الشيباني نسبها إلى عمران بن حطان، بينما نسبها المدائني إلى عيسى الحبطي وكلاهما من الشراة، ونسبها بعضهم إلى قطري بن الفجاءة أو إلى أبي خالد القتاني.

كذلك اختلف الرواة في أبيات هذه القصيدة التي قيلت يوم دولاب:

إذا قلتُ تسلو النفسُ أو ينتهي المنى
أبى القلبُ إلا حُبَّ أمِّ حكيمِ
منعّمةٌ صفراءُ حلوٌ دلالُها
أَبِيتُ بها بعد الهدوِّ أهيمُ
قطوفُ الخطا مخطوطةُ المتن زانها
مع الحسن خلقٌ في الجمال عميمُ

فقد نسبها المدائني إلى صالح بن عبد الله العبشمي، ونسبها المبرّد إلى قطري بن الفجاءة، بينما قال خالد بن

خداش ان قائلها هو عمرو القنا، وقال وهب بن جرير: بل هو حبيب بن سهم[١].

ط ـ جزالة أساليبهم:

كان لِبُنْيَةِ الحزب الخارجي الإجتماعية ـ قُرّاءً أو أعراب ـ أثر عظيم الشأن في جعل أسلوبهم يمتاز بالجزالة والقوة. فقد كانوا بعيدين عن الحضارة وفسادها، وكانوا إلى ذلك يتفردون بتلك العزيمة التي لا تلين لتحقيق أهدافهم بالسيف واللسان معاً.

وإذا عرفنا أن أكثرهم كانوا يجيدون تلاوة القرآن ويحفظون معظم سوره وآياته، أدركنا لماذا استوت اللغة طيّعة بين أيديهم.

ثم إن بعضهم ـ كالطرماح ـ كان يستهويه الغريب في اللغة، وقد روي عنه أن «ابن الأعرابي» سُئل في شعر الطرماح عن ثماني عشرة مسألة فأجاب على كلٍ: لا أدري[٢].

ومن ذلك أيضاً ما قاله «المبرّد» من أن «الرهين المرادي» و «عمران بن حطان» كانا عليمَيْن بالشعر واللغة، ولهما مسائل كثيرة في العلم والقرآن والآثار والسِير والسنن والغريب[٣].

---

(١) راجع شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص: (٣٠٦ ـ ٣٠٧).
(٢) راجع سهير قلماوي: أدب الخوارج، ص: (١٢٤).
(٣) المبرّد: الكامل في اللغة والأدب: ج٣: ص (٢٦٣).

ويمكن إجمال الخصائص الفنية لأدب الخوارج بما يلي:

كان أدبهم جديداً في موضوعه، إذ أنه يدور حول ما جاء به الإسلام من تعاليم، متغذياً بأصوله السياسية والدينية، وكان جديداً في معانيه التي استُقيت بمجملها من القرآن وأحاديث الرسول، وكان جديداً في غايته القائمة على الجهاد في سبيل الله، لإقامة الحكم الصالح والنظام السليم من المفاسد، وكان جديداً في أساليبه المستقاة من منهل الشريعة الإسلامية وعذوبتها.

رابعاً: نماذج من أدبهم

انفرد الخوارج ـ بين كل الفرق الإسلامية ـ بخاصة مهمة، وهي أن جميع أدبائهم لم يكونوا من المأجورين، وإنما كانوا من دُعاة المذهب وممن اعتنقوه أشد الاعتناق، وأخلصوا له كل الإخلاص.

ولم يكن شعراؤهم وخطباؤهم ممن يجيدون الكلام فحسب، بل كانوا إلى ذلك يجيدون حمل السلاح وخوض المعارك.

وقد جمع الدكتور احسان عباس في كتابه «شعر الخوارج» آثاراً شعرية لستة وستين شاعراً معروفاً، كما أضاف بعض المقطعات التي لم يعرف صاحبها، وهي منسوبة للخوارج أيضاً.

ولعل أهمّ هؤلاء من حيث كثرة الإنتاج الأدبي وجودته، الطرماح بن حكيم الحكمي، وعمران بن حطان السدوسي، وقطري بن الفجاءة المازني.

أما أشهر خطبائهم وكُتّابهم، فهم: نافع بن الأزرق،

وحيان بن ظبيان السلمي، ونجدة بن عامر الحنفي، وأبو حمزة الخارجي.

وهذه نماذج أدبائهم مع ذكر بعض الأخبار عن كل منهم وخصائص أدبه.

١ ـ نماذج شعرية:

١ ـ عمران بن حطان: أ ـ حياته:

جاء في كتاب الكامل للمبرد[1]: «هو أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم».

يُكنّى بأبي السمَّاك نشأ في البصرة ولا يعرف تاريخ لمولده، وكل ما يمكن الوصول إليه في هذه المسألة أنه كان شيخاً أول ولاية الحجاج على العراق، وقد تولاها هذا عام خمسة وسبعين أو سبعة وسبعين للهجرة.

كان قبل تشرّيه مولعاً بالعلم والحديث، وقد روى عن عائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس وابن عمر، وكان حريصاً على تحرّي الصدق في رواية الحديث، لذلك يرجّح أنه رّحل إلى الحجاز لأن عائشة لم تفارق هذا البلد إلا في

---

(١) ج٢، ص١٢٤.

حرب الجمل، وكذلك ابن عمر الذي قضى حياته معتزلاً في الحجاز أيضاً.

لهذا تميزت حياته أول الأمر بأنه فقيه ومحدث، وبأنه على رأي الجماعة، لا يجنح إلى حزب سياسي أو فرقة دينية، ثم تزوج ابنة عمه حمزة وكانت على مذهب الخوارج، ويروى أنه أراد أن يصرفها عنه، لكنها استمالته إلى مذهبها.

كان ذلك وقد كبرت سنهُ، وطال عمره، فضعف عن الحرب وقنع بالدعاية إلى مذهبه بلسانه، ولم يستطع أن يشارك بسيفه، ورضي القعدة من الصفرية منه بهذا الجهد البياني، فولّوه زعامتهم، تقديراً لبلائه في الشعر والخطابة، وتقديراً لدرايته بالفقه والحديث.

لكن الحجاج لم يغفل عما لعمران من مقدرة في الإثارة، فطارده، ففرّ من العراق إلى الشام، وجعل يتنقل من مدينة إلى أخرى، في استخفاء وتمويه، وتغيير للأسماء، وكان إذا نزل بقبيلة انتسب نسباً يقربه إليها، مجاراة للقوم في سخافاتهم وحرصاً على الحياة.

وفي ذلك يقول:

نزلنا في بني سعد بن زيدٍ
وفي عكٍّ وعامر عوثبان

وفي لخم وفي أود بن عمروٍ
وفي بكر وحي بني الغدان

لكن الحجاج لم يسترح لفراره واختفائه، فأرسل إلى عبد الملك بن مروان يُعلمه بخبره ويصفه له، فاشتد عبد الملك في طلبه وأهدر دمه.

ونزل عمران في الشام على «روح بن زنباع» الجذامي وأنِسَ إلى كرمه وأخلاقه وادعى أنه أزدي، فاستضافه «روح» سنة كاملة، كان فيها معجباً بتقوى ضيفه وعلمه وأدبه.

وصادف أن حدّث «روحٌ» عبدَ الملك عن ضيفه الأزدي، ذاكراً صفاته ومزاياه، فعرفه عبد الملك وطلب إلى «روح» أن يأتيه به، فهرب عمران بحيلة لطيفة[1]، وترك لمضيفه رسالة يقول فيها:

يا رَوْحُ كم من أخي مثوى نزلت به
قد ظنّ ظنُّك من لخم وغسانِ
حتى إذا خفته فارقتُ منزلَه
من بعد ما قيل عِمرانُ بن حطان

---

(١) عرض روح على عمران اصطحابه معه إلى دار الخليفة لأن عبد الملك أحب التعرف عليه. فقال له عمران: هذا ما كنت أتمناه منذ زمن طويل، هيّا اسبقني إليه وأنا على الأثر.. فهرب واختفى.

لــو كنتُ مستغفـراً يــوم لـطاغيــةٍ
كنتُ المقـدّمَ في ســري واعــلاني
لـكــن ابــت ذاك آيــات مــطهــرةٌ
عـنــد التــلاوة فـي طــه وعمــران

واتجه عمران نحو الجزيرة. ونزل ضيفاً على زفر بن الحارث الكلابي، وانتسب له أوزاعياً، فأكرمه زفر.

وأثناء قيامه في الجزيرة، نزل رجل من الشام على زفر، فلما رأى عمرانَ سلمّ عليه، فقال له زفر: أتعرفه؟ قال: نعم، إنه شيخ من الأزد رأيتُـه ضيفاً لـروح بن زنباعٍ، فقـال زفر لعمران: يوماً أوزاعياً ويوماً أزدياً، إن كنت عائلاً اغنيناك وإن كنت خائفاً آويناك، فقال عمران: الله هو المغني، وارتحل عن زفر تاركاً له هذه الأبيات:

إنّ التي اصبحـتْ يعيـا بهـا زُفــرٌ
أعيتْ عيــاءً على رَوح بن زِنبــاعِ
مــا زال يســألني حــولاً لأخبــره
والنـاس من بين مخـدوع وخــدّاعِ
حتى إذا انقــطعت عـني وســائلُه
كفّ السؤال ولم يـولـع بــاهـلاعي

وانتقل عمران إلى عمان، حيث التقى بجماعـة من الخوارج، فكشف عن حقيقته واستقر، لكن الحجاج مازال

يلج في طلبه، حتى هرب واختبأ في قرية قريبة من الكوفة بين جماعةٍ من الأزد، حيث مات سنة أربع وثمانين للهجرة.

قضى عمران ـ فيما يرجَّح ـ تسعة أعوام في تلك الحياة، فقد خرج في أول ولايةِ الحجاج، ونقل إلينا «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «تهذيب التهذيب» عن ابن نافع، أنه توفي عام ٨٤هـ. ومن المعروف أن الحجاج تولى العراق عام خمسة وسبعين للهجرة.

ب ـ نماذج من شعره:

ـ نموذج أوّل:

بعد أن قتل مرداس بن أدية. قال عمران:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بُغضاً
وحُباً للخرْوجِ أبو بلالِ
أُحاذرُ أن أموتَ على فراشٍ
وأرجو الموتَ تحت ذُرا العوالي[1]
ولو أني علمتُ بأنّ حتفي
كحتفِ أبي بلالٍ لم أُبالِ[2]
فمنْ يكُ همُّه الدُنيا فإني
لها والله ربِّ البيتِ قالِ[3]

---

(١) أحاذرُ: أحذر ـ ذرا: قمم ـ العوالي: أعالي الرماح، أو ما بعد السنان.
(٢) حتفي: موتي ـ لم أبالِ: لم اهتم. (٣) قالٍ: مُبغض.

وفيه يقول أيضاً:

يـا عينُ بكيّ لمـرداسٍ ومصْــرَعـهِ
يـا ربَّ مرداسٍ آجعلني كمـرداسِ
تــركتني هــائمــاً أبكي لِـمَــرزِئـتـي
في منزلٍ موحشٍ من بعدِ إيناسِ[1]
أنكـرتُ بعدكَ من قـد كنتُ اعـرفـهُ
ما الناسُ بعدَكَ يا مـرداسُ بالنـاسِ
إمّــا شَــرِبْتَ بكـأسٍ دَارِ أوَّلُـهــا
على القُرون فذاقوا جُرعة الكاسِ[2]
فكـلَّ مَنْ لم يذقْهـا شـاربٌ عَجِـلا
منهـا بأنفـاسِ وِرْدٍ بعـدِ أنفـاسِ[3]

نموذج ثانٍ:

يطارده الحجاج، فيتخفّى ثم يكاد أن ينكشف فيهرب قائلاً:

يا رَوْحُ كم مِن أخي مثوىً نزلتُ به
قـد ظَنَّ ظَنَّكَ مِنْ لَـخـمٍ وغَسّــانِ[4]

---

(١) المرزِئة: المصيبة العظيمة.
(٢) إمّا: أصلها: إنْمَا= من إنّما مخففة. ـ القرون: الأجيال..
(٣) وِرْد: شرب، يقال وَرَدَ الماءَ أي قصدها ليشرب.
(٤) أخي مثوى: صاحب دار، أو مقرّ. يقال مثواه الأخير أي قبره.

حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ منزِلَهُ
مِن بَعدِ ما قالَ عِمرانُ بنِ حَطَّانِ
قد كنتُ جارَكَ حَولاً ما تُروِّعُني
فيهِ روائعُ مِنَ أنسٍ ومِن جانِ[1]
حتى أردتَ بيَ العُظمى فأدركني
ما أدركَ الناسَ من خوفِ ابنِ مِروانِ[2]
فاعذْر أخاكَ آبنَ زنباعٍ فإنَّ لهُ
في النائباتِ خُطُوباً ذاتِ ألوانِ[3]
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ
وإنْ لقيتُ مَعَديّاً فَعدْناني[4]
لو كنتُ مُسْتَغْفراً يوماً لطاغيةٍ
كنتَ المقَّدمَ في سِريْ وإعلاني[5]
لكنْ أَبتْ ليَ آياتٌ مُطهرةٌ
عند التلاوة في طَهَ وعِمْرانِ[6]

---

(١) تروعني: تخيفني، روائع: ما يريع.
(٢) العظمى: أي الخيانة العظمى ـ نهاية المطاف بتسليمه لعبد الملك.
(٣) النائبات: م: نائبة: مصيبة ومثلها خُطوبٌ: م. خَطْب.
(٤) يمانٍ: يماني وقد حذفت الياء للضرورة الشعرية.
(٥) طاغية: حاكِمٌ جائر. ـ المقدّم: المقرّب.
(٦) أبت: رفضَتْ واستعصَتْ ـ طه وعمران: اسما سورتين في القرآن الكريم.

يتـرك منزل روحٍ بن زنبـاع، يقصد زُفَـر بن الحارث الكلابي، ثم يهرب قائلا:

إن التي أصبحتِ يعيـا بهــا زُفَــرُ
أعيت عيـاء على روح بن زنبـاع[1]

مــازال يـســألنـي حــولاً لاخبــره
والنــاس ما بين مخـدوع وخـداع[2]

حتىٰ إذا انقــطعت عـني وســائـله
كفّ السؤال ولم يـولع بـاهـلاع [3]

فـاكففْ كمـا كفَّ عنّي إنني رجـلٌ
إمــا صَميـمٌ وإمــا فَقْـحة القــاعِ[4]

واكفُفْ لسـانَكَ عن لـومي ومسألتي
مـاذا تـريـدُ إلى شيـخٍ لاوزاعي[5]

أمــا الصـلاةُ فــإني غيـرُ تــاركَهــا
كـلُّ امرىءٍ للذي يُعنى بـهِ ساعِ[6]

---

(١) أعيت - يعيا - عياء: تعبتْ بمعنى شقَّت عليه المعرفة.
(٢) حولاً: سنة.
(٣) وسائله: طُرقُه وأساليبه - الإهلاع: الخوف.
(٤) اكفف: دع عنك - صميم: مقدَّم، في صلب قومه - فتحة القاع: لا أصل له.
(٥) مسألتي: وردت هكذا مسئلتي والأصل أن تكتب الهمزة على الألف.
(٦) ساع: اسم الفاعل من سعى، والمعنى: وأهتم بنفسك واهتم أنا بنفسي.

أكرِمْ بروحِ بن زنباعٍ وأُسرتهِ
قومٌ دعا أوَّليهِمْ للعُلى داعِ
جاورتهم سنةً فيما أُسَرُّ بِهِ
عِرضي صحيحٌ ونَومي غيرُ تَهجاعِ[1]
فاعملْ فإنكَ منعيٌّ بواحدةٍ
حسبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ

يلتجىء في فراره إلى قوم من الأزد، يبقى فيهم حتى يموت. يقول عنهم:

نزَلنا بحمدِ الله في خيرِ منزلٍ
نُسَرُّ بما فيهِ من الأُنسِ والخَفَرْ[2]
نزلنا بقومٍ يجمعُ الله شَمَلَهُمُ
وليسَ لهمْ عودٌ سوى المجدِ يُعتصرْ[3]
من الأزدِ إنَّ الأزدَ أكرمُ معشرٍ
يمانيةٍ طَابوا إذا نُسِبَ البَشرْ[4]
فأصبحتُ فيهمْ آمناً لا كمعشرٍ
أتوني فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ[5]

(١) تهجاع: مضطرب.
(٢) الأنس: الإطمئنان والهدوء ـ الخَفَرْ: الحياء والخجل.
(٣) هذا البيت كناية عن كرمهم.
(٤) معشر: أسرة، قبيلة.
(٥) من ربيعة أو مضر: أي أتوني فقالوا: أمن ربيعة أم من مضر، وهما =

أمِ الحيُّ قحطانٌ فتلكم سفاهةٌ
كما قال لي روحٌ وصاحبُه زُفَرْ[1]

وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ
تُقَرِّبُني منهُ وإنْ كانَ ذا نَفَرْ[2]

فنحنُ بنو الإسلامِ واللهُ واحدٌ
وأولى عبادِ اللهِ باللهِ مَن شكَرْ[3]

نموذج ثالث:

يهجو الحجاج عندما ألحّ في طلبه، يذكره بمهاجمة «شبيب» وزوجته له وهربه من قصره يقول:

أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعامةٌ
ربداءُ تَجْفُلُ من صَفيرِ الصَّافِرِ[4]

هلَّا برزْتَ إلى غَزالةَ في الوغى
بَلْ كان قلبُكَ في جَناحَي طائرِ[5]

= قبيلتان اختان ويريد: هل أنت من ربيعة ومضر، أم من قحطان؟. لأن قحطان قبيلة أخرى.

(١) سفاهة: جهالة وطيش.

(٢) وما منهما: أي وما منهما واحد...

(٣) معنى البيت أنه لم يعد هناك من مكان للعصبية القبلية التي حلت محلها ولاية الإسلام تصديقاً لقوله: «إنما المؤمنون أخوة».

(٤) ربداء: مُنْكَرة. تجفل من صفير الصافر: شديدة الخوف.

(٥) غزالة: زوج شبيب ـ الوغى: القتال ـ الشطر الثاني كناية عن الخوف.

صَـدَعتْ غـزالـةُ قلبَـهُ بفَـوارسٍ
تـركَتْ منابِـرهُ كـأمسِ الدابر[1]

ألْقِ السـلاحَ وخذْ وِشـاحَيْ معْصِـرٍ
واعْمَـدْ لِمَنْـزِلَـةِ الجَبَـانِ الكـافـرِ[2]

نموذج رابع :

ويمدح قاتـل علي بن أبي طالب. عبـد الرحمن بن ملجم المرادي[3].

(١) صدعت: قطعت ـ تركت منابره كأمس الدابر: أي تركت دياره خالية.
(٢) وشاحي: من وشاح ـ معصر: الفتاة في أول شبابها.. كناية عن عدم رجولته حيث أن وشاح المعصر تضعه الفتاة الخجولة والحجاج كذلك هو.
(٣) قلب الفقيه الطبري هذا المعنى فقال:

يـا ضـربـةً مـن شَـقـيٍّ مـا أرادَ بـهـا
إلا ليهْـدِمَ من ذي الـعـرشِ بُـنْـيـانـا

إنـي لأذْكُـره يـومـاً فـألْـعَـنُـه
إيـهـاً والْـعـنُ عُـمـرانَ بـنِ حَـطّانـا

وقال محمد بن أحمد الطبيب:

يـا ضـربـةً مـن غَـدُورٍ صـارَ ضـاربـهـا
أشـقـى الـبَـرِيَّـةِ عـنـدَ الله إنـسـانـا

إذا تـفـكَّـرْتُ فـيـهِ ظَـلْـتُ أَلْـعَـنُـهُ
والْـعـنُ الكـلـب عـمـرانَ بـنِ حَـطّـانـا

يــا ضـربــةً من تَقيٍ مـا أرادَ بهــا
إلا ليَبْلُغَ مِن ذي العرشِ رِضْوانا[1]
إنّـي لأذْكُــرُه حـيـنــاً فــأحَـسبُـهُ
أوفـى البـرِّيـة عِنــد الله مِيـزَانــا[2]
أكـرِمْ بقـومٍ بـطونُ الـطيـرِ قبـرُهُم
لم يخلِطُوا دينَهُمْ بَغْيـاً وعُـدْوانـا[3]
لله دَرُّ الـمُــراديّ الــذي سـفـكَـتْ
كَفّــاهُ مُهجـةَ شــرِّ الخلقِ إنْســانــا
أمسى عــشيــةَ غَـشَّــاهُ بضــربـتــهِ
ممـا جَنـاهُ مِن الآثـامِ عَـرْيــانـا[4]

جـ خصائص شعره :

يروى أن جماعة من الشعراء بينهم الأخطل اجتمعوا عند عبد الملك بن مروان، فقال لهم: أبَقِـيَ أحـدٌ أشعَرَ منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل كَذِبُوا يا أمير المؤمنين، قد بقي مَن هو أشعر منهم، قـال: مَن هو؟ قـال: عمران بن حطان. قال: وكيف؟ قال: لأنه قال وهو صـادق ففاقهم، فكيف لو كَذِبَ كما كَذِبُوا؟ .

---

(١) رضوان: رضى.
(٢) البرّية: الدنيا ـ الميزان: هو ميزان الحسنات والسيئات.
(٣) البغي: الظلم.
(٤) غشاه: ضربه.

ويقول الفرزدق: لقد أَحَسَنَ بنا عمرانُ حيث لم يأخذُ فيما أَخَذْنا فيه، لو أَخَذَ فيما أَخَذْنا فيه لاسْقَطَنا، يعني لجَودَة شعره وحِدَّة عاطفته[1].

واختص عمران في تخير ألفاظه دون اغراب أو تعقيد، لذلك جاءت عباراته جزلة في نسَق، لا التواء فيه ولا وقوع في تقديم أو تأخير.

ثم إن هناك ميزة أسلوبية أخرى في شعره وهي الموسيقى اللفظية الجميلة، التي قلما رأيناها لدى سواه من شعراء المذاهب الدينية إلّا مع العباسيين، وخاصة في قصيدته التي يرثي بها أبا بلال، مرداسَ بن أدية، والتي تصلُح أن تُغنّى يقول:

يا عينُ بكيّ لمرداسٍ ومصرعه
يا ربَّ مرداسٍ آجعلني كمرداسِ

٢ ـ الطرماح بن حكيم.

أ ـ حياته: جاء في الأغاني: «هو الطِرْمَاحُ بن حَكيمِ بنِ الحَكَم، ويُكنّى أبَا نَفر، وأَبَا ضَبْيَةْ. والطرماح: الطويل القامة. وقيل إنه يُلَقّبَ بالطِرمَاح.

من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، منشؤه

(١) الأصبهاني ـ الأغاني ج١٦/ص: ١٥٥ .

الشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَن وَرَدَها من جيوش أهل الشام، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة»[1].

ويضيف جرجي زيدان على ما قاله أبو الفرج: إنّه من طيء، وإنه توفي عام مئة للهجرة[2]. أما شوقي ضيف فيقول عنه: «إنه شاعر نشأ في الشام وانتقل إلى الكوفة مع جيش الشام. نزل في بني تيم اللات بن ثعلبة، وكان فيهم شيخٌ من الخوارج له سَمْتٌ وفيه وقار، فكان الطرماح يُجالسه ويسمع منه، فَرَسَخَ كلامُه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه فقَبِلَهُ واعتقده أشدَّ اعتقاد وأصحَّهُ حتى مات عليه.

اختلف الناس في انتمائه، فقال أبو الفرج انه دخل في فرقة الأزارقة، وقال الجاحظ: هو من الصفرية، وقول الجاحظ هو الصحيح لأنه كان من القعدة، ولو كان من الأزارقة ما استَحلَّ القعود، وهو صفري مسالم ولم يكن يكفّر المسلمين بل كان يعاشرهم ويوادهم ويصادقهم، حتى لنراه يعقد صداقة شديدة بينه وبين الكميت، (شاعر الشيعة).

مات الطرماح حوالى ١٠٥هـ[3].

من كل هذه الأقوال، لا نعرف متى ولد الطرماح على

---

(١) الأغاني ـ الجزء العاشر (ص؛ ١٥٦).
(٢) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج١ ١٠ص: ٢٧٥).
(٣) شوقي ضيف: العصر الإسلامي (ص: ٣١١) و(١٠٥).

وجه الدقة، وحتى نشأته مختلف في موقعها: فالبعض يقول إنها كانت الشام، والبعض يقول معارضاً إنها كانت «بالسواد» في الكوفة، ولا نعرف أين ومتى كانت وفاته وإنما يرجح أنها بين عامي مئة وستة ومئة وتسعة للهجرة[1].

كذلك فإن مذهبه غير متفق عليه كما يتضح، إذ أنه كان من القعدة وهو مع ذلك يقول كما يروى:

فَوارسَ مِن شَيْبانَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ
تُقَى الله نَزَّالُونَ عِنْدَ التَزاحُفِ
هُمُ مَنَعُوا النُعْمانَ يَوْمَ رُؤَيّةٍ
مِنَ المَاءِ في نَجْمٍ مِنَ القَيْظِ حَانِفِ

وهكذا فإن هذين البيتين إما أن يكونا قد أضيفا إلى الشاعر، وإما أنهما قيلا في فترة سابقة على انتمائه للخوارج الصفرية.

عمل في شبابه معلماً للغة، فبرز في مهنته، وصادق «الكُميت» الذي كان يقوم بنفس المهنة، ويروي الأصبهاني عن صداقتهما فيقول: «وَفَدَ «الطرماح بن حكيم» و «الكميت بن زيد» على «مخلد بن يزيد المهلبي»، فجلس لهما ودعاهما، فتقدم الطرماح لينشد، فقال له: أَنْشِدْنا قائماً. فقال: كلا، والله ما قَدَرُ الشعرِ أن أقومَ له فيحُطّ من مقامي،

---

(١) سهير قلماوي: أدب الخوارج (ص٩٥ ـ ١٠٧).

وأحطَّ منه بضراعتي[1]، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب، فقيل له: فَتَنَحّ. ودُعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم. فلما خرج الكميت شاطرها[2] الطرماح وقال له: أنت أبا ضبية أَبْعَدُ همة، وأنا أَلْطَفُ حيلة»[3].

ويروى عنهما في مكان آخر قال: «قال محمد بن سهل، راوية الكميت: أنْشَدْتُ الكميت قول الطرماح:

إذا قُبِضَتْ نفْسُ الـطِرِمَّاح أَخْلَقَتْ
عُرَا المجْدِ واسْتَرْخَى عِنَانُ القَصَائِدِ

قال الكميت: أي والله، وعنان الخطابة والرواية.

وقيل لهما يوماً: فيْمَ اتفقتما هذا الإتفاق مع اختلاف سائر الأهواء؟ قالا: اتفقنا على بُغض العامَّة»[4].

ب ـ نماذج من شعره:

نموذج أول:

مرّ الطرماح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطِر في مشيتهِ، فقال الرجل: مَنْ هذا الخطّار؟ فسمعه، فقال: أنا الذي أقول:

---

(١) الضراعة: التضرع، طلب الحاجة بشيء من الذل.
(٢) شاطرها: قاسمها.
(٣) الأغاني ـ ج١٠ (ص١٥٧).
(٤) الأغاني ج١٧ (ص٢).

لَقَـدْ زَادَني حُـبًّـا لِـنَـفْـسـي أنـني
بَغيضٌ إلى كُلِّ امرىءٍ غَيرِ طَائلِ [١]
وأنّـيْ شَقـيٌّ بـالـلئـامِ ولا تَـرى
شَقِيّاً بِهِمْ إلاّ كَـريمَ الشّمـائِـلِ [٢]
إذا مـا رآنـي قَـطَّعَ اللحْظَ بـينَـهُ
وبَيْنَي فِعْـلَ العـارِفِ المُتجْاهِلِ [٣]
مَـلأتُ عَليـهِ الأرضَ حتّى كـأنهـا
مِنَ الضِيقِ فِي عينيه كفَّةُ حابِلِ [٤]

نموذج ثانٍ:

قال يمدحُ الخوارج:

لله دَرُّ الـشُّـراةِ إنَّـهـمُ
إذا الكَـرى مـالَ بـالـطُّلا أَرِقُـوا [٥]

---

(١) غير طائل: خسيس ـ دون.
(٢) شقي: من شقي، شقاءً فهو شقي أي تعيس، حزين. والشمائل: الصفات الحميدة.
(٣) قطَّع اللحظ: أي أزاحَ عينيه عنيّ بإرادته. والمتجاهل: الذي يتصنّع الجهل.
(٤) كفَّةُ حابل: مصيدته.
(٥) الكرى: النُعاس ـ الطُلا أو الطُلى: م طُلية: الأعناق ـ أرقوا: طردوا النُعاس.

يُـرِجِّـعُـونَ الـحَـنـيـنَ آوِنَـةً
وإنْ عَـلا سـاعَـةً بهمْ شَهِقُـوا[1]
خَـوفـاً تَبيتُ الـقُـلوبُ واجِـفَـةً
تَكـادُ عنهـا الصُّـدورُ تَـنْفَـلِقُ[2]
كَيْفَ أُرَجِّي الحيـاةَ بَعْـدهـمُ
وَقَـدْ قَضَى مُؤْنِسِيَّ فَـانْـطَلَقُـوا[3]
قَـومٌ شِـحـاحٌ عـلى اعـتـقـادِهِـمُ
بـالفَـوزِ ممّـا يُخـافُ قَـدْ وَثِقـوا[4]

نموذج ثالث:

يرسم طريق خلاصه:

لقـد شَقِيتُ شقـاءً لا انقـطاع لَـهُ
إنْ لَمْ أَفُـزْ فَـوْزَةً تُنْجي مِنَ النّـارِ
والنـارُ لَمْ يَنْـجُ من رَوْعـاتِهـا أَحَـدٌ
إلّا المُنِيبُ بِقَلْبِ المُخْـلِصِ الشّـارِي[5]

---

(١) يرجِّعون: يقولون إنّا لله وإنا إليه راجعون ـ شهقوا: ردّدوا البكاء في صدورهم.
(٢) واجفة: خافقة. تنفلق: تنشَقّ.
(٣) أرجّي: آمَلُ ـ مؤنِسِيَّ: مصدر أنسي وسعادتي.
(٤) شحاح: بخلاء ـ اعتقادهم: إيمانهم ـ والمعنى انهم متمسكون بمبدئهم، واثقون من الفوز بالجنة.
(٥) روعاتها: مخاوفها ـ والمنيب: المطر الغزير، والمعنى أن الشاري =

أوِ الـذي سَبَقَتْ مِنْ قَبـلِ مَــوْلـدِهِ
لَـهُ السَّعـادَةُ مِنْ خَــلاَّتِهـا البَــاري

نموذج رابع:

طموحات الفارس الخارجي:

وإنـي لـمـقتـادٌ جَـواديْ وقــاذِفٌ
بِهِ وبِنَفْسي العامَ إحدى المقاذِفِ[1]
لأكْسبَ مــالاً أو أؤُولَ إلـى غـنـىً
مَن الله يَكفيني عِـداتِ الخَـلائِقِ[2]
أذَا العَرْشِ إنْ حَانتْ وفاتي فلا تَكنْ
على شَرْجَعٍ يُعلى بخُضْرالمَطارِفِ[3]
ولكِنْ أحِــنْ يَـومي سعيـداً بعُصْبَـةٍ
يُصابونَ في فَجٍّ منَ الأرضِ خائِفِ[4]
فَـأُقْتَـلُ قَعْصــاً ثم يُـرمى بـأعـظُمي
كَضِغْثِ الخَلاَ بَيْنَ الرِّيَاحِ العَـوَاصِفِ[5]

= المخلص هو وحده الناجي من النار لما في قلبه من دفق الإيمان بالله وغزارته.

(١) كناية عن المخاطرة بالنفس.

(٢) العدات: جمع عِدَة، وهي ما يوعد به من صلة ـ الخلائف: جمع خليفة.

(٣) أذا العرش: يأذا العرش ـ شرجع: نعش ـ المطارف: قماش من خز.

(٤) فجٌ خائف: طريق وعرة، مخيفة.

(٥) قَعْصاً: في مكاني ـ ضغث الخلا: قبضة حشيش لم تجف بعد.

ويُصبح لَحمْي بينَ طَيرٍ مَقِيْلُهُ
دُوَيْنَ السَّماءِ في نُسورٍ عَواكِفِ[1]
فَوارسُ مِنْ شَيْبَانَ وَحَّدَ بَيْنَهمُ
تُقى الله نَزّالونَ عِنْدَ التَّزاحُفِ[2]
إذا فَارَقوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى
وَصَاروا إلى ميعادِ ما في المصاحف[3]

جـ ـ خصائص شعره:

الطرماح هو الوحيد بين شعراء الخوارج الذي له ديوان باسمه، وقد اتخذ له جامعُه ـ كرنكو، نشره في لندن ١٩٢٧ ـ عنواناً هذا البيتَ الذي يعبر به الشاعر عن مدى إيمانه بنفسه ومدى تعظيمه لها:

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِرمَّاحِ أخلقت
عُرَى المجدِ واسترخى عِنانُ القصائد[4]

يدور القسم الأكبر من ديوانه حول الوصف وموضوعات أخرى تقليديه ذات مؤثرات جاهلية، ولم يذكر الخوارج فيه إلا بمقطوعتين.

---

(١) مَقيلُه: مبيتُه.
(٢) التزاحف: زحْفُ الجيشين أحدهما صوب الآخر.
(٣) أي أن ليس لديهم ما يخسرون سوى الألم، وإذا خسروه يربحون وعْدَ الله.
(٤) قُبضت نفسه: مات. أخْلَقَتْ: بَلِيَتْ ـ العُرى: ما يوثَقُ به ويُرْبَط.

هجا القبائل وخاصة تميم وهجا الشعراء خاصة الفرزدق وافحش مرة في كلام عن أخت هذا الشاعر والهجاء كما هو معروف موضوع جاهلي وليس إسلامياً وهو بالتالي لا ينسجم مع التزامه الخارجي، لا بل يؤكد أن هذا الالتزام لم يكن متغلغلاً في دم الشاعر ووجدانه وأن علاقته بهذا الاتجاه ظلت رقيقة كضغث الخلا في مهب الريح، كما يعبّر مرة عن رغبته بالاستشهاد.

عُرف عن الطرماح شهرته باستعمال الغريب في شعره، وقد بالغ الرواة في وصف حرصه على جمع هذا النوع من الكلام، فقال أحدهم إنه رأى الطرماح في سواد الكوفة يجمع الفاظ النبط، فلما سأله عن السبب قال، إنه يريد أن يعربها ويستعملها في شعره.

غير أنّ لبعض الأقدمين رأياً آخر في شعره:

يقول أبو الفرج الأصبهاني: «كان أبو عبيدة والأصمعي يفضّلان الطرماح في هذين البيتين، ويزعُمان أنه فيهما أشعر الخلق»:

مجتابُ حُلَّة بُرْجُدٍ لِسَراتِه
قِدَدَاً واخْلفَ ما سواهُ البُرجدُ[1]

---

(١) مجتاب: لابس - حلة: ثوب - البرجد: اللون الأحمر - السراة: الظَهر. القدد: القطع - والمعنى: يصف هنا ثوراً وحشياً بأنّ لونه أحمر ومصوراً في البيت الثاني سرعته ورشاقته كسيف يُسَلُّ ويُغمِدَ بعزم.

يـبـــدو وتُضْـمُـــره الـبـــلادُ كـــأنّــهُ
سَيْفٌ على شَـــرفٍ يُسَـــلُّ ويُغْمــدُ

٣ ـ قطري بن الفجاءة:

أ ـ حياته:

يقول البلاذري في فتوح البلدان «ان قطرياً قدم إلى سجستان في الفترة ما بين عامي ٤٢ و ٤٤هـ» وما عدا ذلك لا تذكر كتب التاريخ شيئاً عن سيرته حتى توليه أمر الأزارقة.

وقطري من مازن، من تميم، إحدى قبائل مضر التي كانت تسكن آنذاك شواطىء الخليج الفارسي من الدولة الإسلامية ـ البصرة والبحرين وما جاورهما ـ وتروي إحدى الروايات أن اسمه كان باسم منطقة هناك لعلها قطر الحالية.

في عام ثمانية وستين أو تسعة وستين، تولى قطري أمر الخوارج الأزارقة بعد نافع، وذلك لمكانته الحربية وجهاده الديني، وتولىّ العراق في تلك الفترة مصعب بن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف، اللذان قاسيا من خطره وقسوته كثيراً.

ويعتبر قطري آخر رؤساء الخوارج الأقوياء، كان خطيباً وفارساً، يتمتع بصفات السيّد، ويسلّم عليه بالخلافة، لقبّوه أمير المؤمنين، كما كان يُكنى مثل رؤساء الخوارج، فعرف بأبي نعامة في السلم، وبأبي محمد وقت الحرب.

نظم صفوف الخوارج بعد هزائمهم المتوالية، وجعل سابور من أرض فارس، دار هجرة لهم حتى كثر أتباعه فيها.

وكان المهلب في كلا الحالين ـ زمن مصعب والحجاج ـ يحارب الخوارج وقد ضاق ذرعاً بهم، فلجأ إلى الحيلة والدسيسة، واستطاع أن يقسم أتباع قطري إلى قسمين: قسم ظل معه، وقسم التحق بعبد ربه الصغير، واصطدم الفريقان الخارجيان فضَعُفا، والمهلب ينتظرهما متربصاً.

في عام سبعة وسبعين أو ثمانية وسبعين للهجرة، قتل قطري، فأخذ رأسُه إلى الحجاج الذي أرسله بدوره إلى عبد الملك بن مروان.

ب ـ نماذج من شعره:

نموذج أول:

قال يستحثّ أحد إخوانه على الخروج (وهو أبو خالد القَتاني).

أَبَا خَالِدٍ يَا انْفِرْ فَلَسْتَ بِخَالِدٍ
وما تَرَكَ الرَّحْمنُ عُذراً لِقَاعِدِ[1]

---

(١) انْفِرْ: فعل أمر من نَفَر، بمعنى انصُرْ. ـ القاعد: ضد الخارج إلى الحرب.

أَتَـزْعَمُ أنّ الخَـارجيّ على الهُــدىٰ
وأنتَ مُقيمٌ بـينَ لِصٍّ وجَـاحِـدِ [1]

وقال يحرض «سبرة بن جعدة» على التوبة والخروج:

أَلَمْ تَـرَ أنّ المـوتَ لا شَــكَّ نـازِلٌ
وَلابُدَّ من بعثِ الألى في المقابـرِ [2]
حُفــاةً، عُــراةً، والثــوابُ لــرَبِّهِمْ
فمِنْ بَينْ ذي ربـحٍ وآخرَ خـاسِرِ [3]
فــإنّ الـذي قــدْ نِلْتَ يَفْنى وإنّمــا
حَيـاتُكَ في الـدُنيا كَـوْقْعَةِ طـائِـرِ [4]
فَـرَاجِعْ أبـا جَعْـدٍ ولا تَـكُ مُغْضيـاً
على ظُلمةٍ أغْشتْ جَمِيعَ النّواظِرِ [5]
وَتُبْ تَـوْبـةً تُهـديْ إليـكَ شهــادة
فــإنَّـكَ ذو ذَنْبٍ وَلَسْتَ بكـافِـرِ [6]

---

(١) جاحد: مُنْكِر الحق مع علمه به.
(٢) الألى: الذين. والمعنى أن الموت محتّم على الناس وكذلك البعث.
(٣) يذكره بيوم القيامة وما فيه من الحساب القائم على الربح والخَسارة.
(٤) كوقعة طائر: أي سريعة الزوال، لأن الطائر سريع التنقل ولا يثبت في المكان.
(٥) مغضياً: مغمضاً عينيه ـ أغْشت: منعت الرؤية بسبب الظلمة.
(٦) في هذا البيت قطري بعض تفاصيل المبدأ الخارجي، إذ بعد أن الإنتهاء من عملية الوعظ والانشاد التي استغرقت الأبيات الأربعا الأولى، نراه هنا =

وَسِـرْ نَحْـوَنــا تَلقَ الجِهـادَ غَنيمَــةً
تُفِـدْكَ ابتيـاعـاً رابحـاً غَيْـرَ خـاسِـرِ
هيَ الغايةُ القُصـوى الرّغيبُ ثـوابُها
إذا نالَ في الدنيا الغِنى كلُّ تاجِرِ[1]

نموذج ثانٍ:

يصف قطري معركة «يوم دولاب» أهم معاركهم، وقد قُتل فيها قائد الخـوارج، نافـع بن الأزرق، وقائـد الجيش الأموي، ابن عُبيس بن كُرير، يقول قطري:

لعَمْرُكَ إنيّ في الحيـاةِ لَـزَاهِـدٌ
وَفي العَيْشِ ما لمْ أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ[2]
منَ الخِفـراتِ البيضِ لمْ يُـرَ مِثْلُهـا
شِـفــاءٍ لــذي بَثٍّ ولا لِـسَقيـمِ[3]

= ينتقل إلى تحديد الفرق بين الكافر وبين المذنب؟ فالكافر هو الإنسان غير الخارجي، الذي خرج على الدين بارتكاب الكبائر من المحرّمات؟ أما المذنب فهو المتقاعس أو القاعد عن الجهاد بالسلاح، ونحن نعلم أن هذه المشكلة كانت في صلب الخلافات الناشئة فيما بعد بين المتكلمين وفرقهم من المعتزلة والأشعرية وسوى ذلك.

(١) يعود هنا إلى المعنى الذي أشار إليه في البيت الثاني حيث يعتبر المسألة هي الفرق في النتيجة بين الربح والخسارة في هذه التجارة.

(٢) زاهد: راغب عن الدينا حباً للآخرة. أم حكيم: إحدى الخارجيات البطلات.

(٣) الخفرات: الخجولات ـ بث: شدة الحزن ـ السقيم: المريض.

لعمرُكَ إنيّ، يومَ أَلْطِمُ وَجْهَها
على نائباتِ الدهرِ، جدُّ لَئيم[1]
وَلَو شَهِدَتْني يومَ دولابَ أبْصَرتْ
طِعانَ فتىً في الحربِ غيرَ ذميمِ[2]
غداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بَكرِ بنِ وائلٍ
وعُجْنا صدورَ الخيلِ نَحو تَميمِ[3]
وكانَ لعبدِ القيسِ أَوّلُ جَدِّها
وأَحْلافِها مِن يَحْصُبٍ وسَليمِ[4]
فلم أرَ يوماً كانَ أكثرَ مُقْعَصاً
يَمجُّ دَماً من فائظٍ وكَليمِ[5]
وَضاربةٍ خَدّاً كَريماً على فتىً
أغَرَّ نَجيبِ الأُمّهاتِ كَريمِ[6]
أُصِيبَ بدُولابٍ ولمْ تكُ مَوْطِناً
لَهُ أرضُ دُولابٍ ودَيْرِ حميمِ[7]

---

(١) ألطِمُ: اضرب ناثبات الدهر: مصائبه.
(٢) طِعان: مطاعنة، ضرب بالرمح ـ ذميم: مذموم.
(٣) عَلْماء: أي على الماء ـ عُجْنا: أمَلْنا، وجّهْنا.
(٤) جَدّ: حظ ـ أحلافها: حلفاؤها ـ يَمُج: يشرب ـ فائظ:
(٥) مقعصاً: مضروباً بالسيف ـ فائظ أو فائض: ميت ـ كليم: جريح.
(٦) أغرّ: شريف الفعال ـ نجيب: فاضل.
(٧) يتحدث الشاعر هنا عن «نافع» الذي قتل في هذه الأرض وهي ليست أرضه وإنما هو مهاجر إليها للدفاع عن مبدئه.

فَلَوْ شَهِدَتْنَا يَومَ ذاكَ وَخيلُنا
تُبيحُ من الكُفّارِ كُلَّ حَريمِ
رَأتْ فِتيةً باعُوا الإلَه نُفوسَهمْ
بَجنّاتِ عَدْنٍ عندَهُ وَنَعيمِ

نموذج ثالث:

قال يناجي نفسه، متوثباً للحرب:

أَقولُ لها وقد طَارتْ شَعاعاً
مِن الأبطالِ وَيحكِ لنْ تُراعي[1]
فإنّكِ لو سَألتِ بَقاءَ يَومٍ
على الأجَلِ الذي لَكِ لَنْ تُطاعي[2]
فَصَبْراً في مجالِ الموتِ صَبْراً
فما نَيْلُ الخُلودِ بمُسْتطاعِ
ولا ثَوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ
فيُطوى عن أخي الخَنَعِ اليَراعِ[3]

= تعليق: يقول الطبري صاحب الكامل في اللغة والأدب في تعليقه على القصيدة:

«وهذا من أصدق الشعر العربي قاطبة من حيث العاطفة وفيض النفس العاشقة البطلة».

(١) طارت شعاعاً: خافت ـ لن تراعي: لن تخافي.

(٢) مستوحى من الآية الكريمة: «يوم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون».

(٣) الخَنَع: الذُلّ ـ اليراع: الضعيف. أي أن الموت لا يستثني الذليل الضعيف.

سبيـلُ المـوتِ غـايـةُ كـلِّ حيٍّ
فَـداعـيـهِ لأهـلِ الأرضِ داعِ
ومَـنْ لا يَـغْـتَـبِطْ يَـسْـأَمْ ويَـهْـرَمْ
وتُسْلِمْـهُ المنـونُ إلى انقـطاعِ [1]
ومـا لـلمـرءِ خـيـرٌ فـي حيـاةٍ
إذا مـا عُـدَّ مِن سِقْطِ المَتَـاعِ [2]

نموذج رابع:

من كُتُبِهِ: كَتَب إلى الحجاج بن يوسف رداً على كتاب وصله منه:

«. . . . . . . ذكـرتَ في كتـابِـكَ أنّني كنتُ بَـدَوِيـاً أسْتَطْعِمُ الكِسْرة[3] وأحِـنُّ إلى التَمْرة، والله لقد قُلتَ زُوراً، بلِ الله بَصَّرني من دينهِ ما أعماكَ عنه، إذْ أنت سـائحٌ في الضَّلالةِ، غَرِقٌ في غَمَراتِ الكُفْرِ .... أما والله لَئِنْ أَبْرَزَ الله لي صَفْحَتَكَ[4]، وأَظْهَرَ لي صَلْعَتَكَ، لتُنْكِرَنَّ شِعَبَكَ وَلَتعْلَمَنَّ أنّ مُقارعَةَ الأبطالِ ليس كَتَسْطِيرِ الأمثال»[5].

---

(١) لا يَغْتَبِط: لا يُجْرح ـ المنون: المنايا، الموت.
(٢) سقط المتاع: ما لا قيمة له.
(٣) استطعم الكسرة: أتسـول القطعة الصغيرة من الخبز.
(٤) صفحتك: وجهك.
(٥) أي أن الكلام سهل بعكس الفعل وهو الحرب هنا.

جـ: خصائص شعره:

أمتاز قطري عن سواه من أدباء الخوارج بأنه كان يتقن استعمال السلاح، ولذا جاءت كتاباته أكثر صدقاً وأشد لصوقاً بما يعتمل في نفسه من مشاعر وأحاسيس.

وهو يتميز بمتانة لغته وقوة تعبيره المستمدين من ثقافته الإسلامية وحفظه وتمثله لآيات القرآن حتى أنا نجده في كثير من الأحيان يصوغ هذه الآيات شعراً جميلاً ،محبباً.

ولم يتطرق قطري إلى موضوعات غير إسلامية خارجية ،ولذا ظلت معانيه متكئة على ما في مخزونه الفكري من قناعات دينية راسخة، وهو في غزله الذي نلحظه في بداية قصيدته بيوم دولاب ظل ضمن هذه المعطيات ولم يخرج عنها، حيث أن الحبيبة ليست سوى رفيقة جهاد وعشيرة الام واحزان ،وطموحه كان أن ترى شدة طعانه وفروسيته في مجادلة الأعداء بالسيف وتلمس شجاعته في ساحة الوغى.

كما أن البيت الأخير من قصيدته التي يناجي بها نفسه. والذي يقول فيه:

وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ
إذا ما عُدَّ من سِقْطِ المَتَاع

سيتناوله المتنبي فيما بعد ليقول:

عِشْ عـــزيــزاً أَوْ مُتْ وأنتَ كـــريمُ
بَيِنَ طَعْنِ القَنــا وخَـفْقِ الـبُنــودِ[1]

٤ ـ الرهين المرادي:

كان من الخوارج الذين لا يرون القعود، ويقول الطبري عنــه «انــه كــان في الــدهــاء والشعــر والفقــه ـ بـقــول الخوارج ـ بمنزلة عمران بن حطان».

قال المرادي:

يا نَفْسُ قد طالَ في الدنيـا مُراوغَتي
لا تـأمَنَنّ لصَرفِ الـدّهرِتَنْغيصـــاً[2]
إنّي لَبـائـعُ مــا يَـفْنَـى لِبَـــاقِيَة
إنْ لم يُعِقْني رَجاءُ العيشِ تَرْبيصَا[3]
وأَسْـــألُ الله بَيْــعَ النّفسِ مُحْتَسِبــاً
حتى أُلاقي في الفردوسِ حُرقوصا[4]

(١) القنا: الرمح، البنود: الرايات، الأعلام الكبيرة.
(٢) المراوغة: المخادعة ـ لصرف الدهر: مصائب الدهر ـ التنغيص: التعكير.
(٣) ما يغنى: أي الدنيوي، الذي يزول ـ الباقية: الآخرة ـ تربيصاً: يعني أن أكون متربصّاً أي منتظراً لرجاء العيش فتغريني الحياة الدنيا.
(٤) محتسباً: أي مكتفياً برجمته، كقولنا: وحسبي الله ونعمَ الوكيل. ـ حُرقوص: هو أحد الخوارج من أصحابه.

وآبنَ المَنيحِ ومِرَداساً وإخْوَتَهُ
إذْ فارَقوا زَهرةَ الدُّنيا مَخاميصا(١)

٥ ـ عيسى بنُ فاتِك الحَبْطي: (*)

خارجيٌّ من بني تيم اللات بن ثعلبة.

قال يرثي بعض قتلاهُم:

أَلَا في الله لا في الناسِ شَالتْ
بِداودٍ وإخْوتِهِ الجُذُوعُ(٢)
مَضَوا قَتْلاً وتَمْزيقاً وَصلْباً
تَحومُ عليهمُ طيرٌ وُقوعُ(٣)
إذا ما الليلُ أَظْلَمَ كابَدُوه
فَيُسْفِرُ عَنْهُمُ وَهُمُ رُكُوعُ(٤)
أَطَارَ الخوفُ نَومَهُمُ فقاموا
وأَهْلُ الأَمْنِ في الدُّنيا هُجُوع(٥)

---

(١) ابن المنيح ومرداس واخوته: من أصحابه الخوارج ـ فارقوا زهرة الدنيا: أي فارقوها وهم في عمر الزهور ـ مخاميص: ضامروا البطون، جائعون، وذلك للتدليل على زهدهم بالحياة وبعدهم عن ترفها.

(*) أو ابن عاتك الخطي.

(٢) شالتْ: رَفَعَتْ ـ الجُذوع: م، جِذْع، الجزء من الشجرة بين الارض والأغصان.

(٣) طيرٌ وقوع: نازل على شجر أو أرض.

(٤) كابَدُوه: قاسَوهُ وتحملوا المَشاقّ في فعله ـ أسْفَر: أضاء.

(٥) هُجوع: نيام.

قال يصف معركة «بآسك» انتصر فيها الخوارج:

فلَمّا أَصْبَحوا صلُّوا وقاموا
إلى الجُردِ العِتاقِ مُسَوَّمينا[1]

فلما استَجْمعوا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ
فَضَلَّ ذوو الجَعَائِلِ يُقْتَلونا[2]

بَقِيَّةَ يَومِهِمْ حتّى أَتاهُمْ
سَوادُ الليلِ فيهِ يُراوِغُونا[3]

يقولُ بصيرُهُمْ لما أتاهُمْ
بأنَّ القومَ وَلْوا هارِبينا

أَأَلْفا مُؤمِنٍ فيما زَعْمتُم
وَيهْزِمُهُم بآسِكَ أَربَعونا[4]

كَذِبْتُمْ ليسَ ذاكَ كما زَعْمتُمْ
ولكنَّ الخوارجَ مُؤْمِنونا

هُمُ الفِئَةُ القَليلةُ غيرَ شكٍّ
على الفِئَةِ الكَثيرَةِ يُنْصَرونا[5]

---

(١) الجُرد العِتَاق: الخيلُ الأصيلة ـ المسومينا: م، المسوّم: الحسن الخلق.
(٢) الجعائل: م: الجَعيلَة، الجُعالة: أجرة العامل، أو الرشوة.
(٣) يراوغون: يخادعون.
(٤) آسك: اسم منطقة، جرت فيها معركة بين الخوارج والأمويين.
(٥) هذا البيت إشارة واضحة إلى قوله تعالى: «كَمْ منْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرَةً بإذْنِ الله والله مَعَ الصَّابِرِيْنْ» سورة البقرة آية (٢٤٩).

٦ ـ يزيدُ بن حَبْناء: من الخوارج الأزارقة.

لامته امرأة، إسمها «أم عاصم» تحبه، لعدم تقديمه هدية لها، فقال:

دَعِيْ اللّومَ إنّ العَيْشَ لَيْسَ بَـدِائم
وَلَا تَعْجَليْ باللّوْمِ يا أُمَّ عَـاصِمِ [1]
فإذْ عَجِلَتْ مِنْكِ المَـلاَمَةُ فـاسَمعيْ
مَقَـالَـةَ مَعْنيٍّ بحقِّـكِ عَـالِـمِ [2]
وَلا تَعْـــذُلينا في الهَـديَّـةِ إنّمـا
تَكُونُ الهَدايا منْ فُضُولِ المَغَانمِ [3]
فَـلَيْسَ بِمُـهْـدٍ مَنْ يـكـونُ نَهـارُهُ
جِـلَاداً ويُمْسي لَيْلُهُ غَيـرَ نـائِمِ [4]
يُــريـدُ ثَـوابَ الله يَـومـاً بِـطَعْنَـةٍ
غَموُسٍ كَشِدْقِ العَنْبَريِّ بنِ سَالمِ [5]

---

(١) دعي: اتركي.
(٢) مقالة: حديث ـ معنيّ: مسؤول.
(٣) لا تعْذُلينا: لا تلومينا ـ فضول المغانم: ما يحصل عليه المقاتل من أرض المعركة.
(٤) جلاداً: مبارزة ـ غير نائم: قائم يتعبّد في الليل.
(٥) غموس: واسعة ـ العنبري بن سالم: رجل خارجي كان أشْدَق.

أَبِيتُ وَسِـرْبَـالي دِلَاصٌ حَصِينَـةٌ
وَمِغْفَـرُها وَالسَّيفُ فَـوقَ الحَيازِمِ (١)
حَـلَفْتُ بَـرِبِّ الـوَّاقِفِين عَشِيَّـةً
لَـدَى عَـرَفـاتِ حَلْفَـةً غَيْـرَ آثِمِ (٢)
لَقَـدْ كـانَ في القـومِ الذينَ لقِيتُهُم
بِسَـابُورَ شُغْـلٌ عنْ بُروزِ اللَّطائمِ (٣)
تَـوَقَّـدُ فـي أيْـديـهِـمُ زَاعِبِـيَّـةٌ
ومُرْهَفَـةٌ تُفْري شُؤونَ الجَماجِمِ (٤)

٧ ـ ليلى بنت طريف:

هي أخت الوليد بن طريف، وكان رأساً من رؤوس الخوارج.

---

(١) أبيتُ: أنام ـ سربالي: قميصي ـ دلاصٌ: دِرْعٌ ليّن ـ حصينة: محصّنة ـ مغفرُها: زردُها يُلبسَ تحت القلنسوة ـ الحيازم: م، الحيزوم: وسط الصدر.

(٢) الواقفين لدى عرفات: المؤمنين بالله وهم في الحجّ. ـ آثم: أثيم، مأثوم.

(٣) سابور: اسم المكان الذي جرت فيه المعركة مع الأمويين ـ اللطائم: م، لطيمة: وهي الإبل التي تحمل البُرّ والعِطر.

(٤) تَوَقَّدُ: أي تَتَوَقّد، حذفت التاءُ لضرورة الشعر ومعناها: تلمع ـ زاعبية: نسبة إلى زاعب، رجل خزرجي يصنع الرماح ـ تفري: تَقُدّ ـ مرهفة: كناية عن السيوف.

قالت ليلى ترثيه بعد أن قتله يزيد بن مَزْيَد:

«بِتَـلِّ بَنَاتـا» رسْمُ قَبْـرٍ كَـأَنَّـهُ
على عَلَمٍ فـوقَ الجِبَالِ مُنيفِ[1]
تَضَمَّنَ جُـوْداً حَـاتِميّـاً وَنَـائِـلاً
وَسَـوْرَةَ مِقْـدَامٍ وقَلْبِ حَصِيفِ[2]
أَلَا قَـاتَـلَ اللهُ الجُثـا حِيْنَ أَضْمَـرَتْ
فَتىً كـانَ بالمْعـرُوف غيْرَ عَفيفِ[3]
فـإنْ يَـكُ أرْداهُ يَـزِيـدُ بْـنُ مَـزْيـدٍ
فَيَا رُبَّ خَيْـلٍ فَضَّهـا وَصُفُـوفِ[4]
أَلَا يـالَـقُـومٍ للنِـوّائِـبِ والـرَدَى
وَدَهْـرٍ مُلِجٍّ بـالكِـرامِ عَـنيـفِ[5]
وَللِبَـدْرِ منْ بين الكـواكب إذْ هَـوى
ولِلشَّمسِ هَمَّتْ بَعْـدَهُ بِكِسُـوفِ[6]

---

(١) بتل بناتاً: في مكان اسمه كذلك جرت فيه المعركة. رَسْم: أثر ـ منيف: عالٍ.

(٢) تَضَمَّن: حوى ـ حاتمياً: نسبة إلى حاتم الطائي ـ نائلاً: معروفاً ـ سَوْرَة: سطوة ـ مقدام: شجاع ـ قلب حصيف: الحَصِفُ، الجيد الرأي.

(٣) الجُثا: م، جثوة، ما يتجمع من حجارة وتراب ـ أضمرت: خبّأتْ.

(٤) أرْدَاهُ: رماه قتيلاً. ـ فَضُّها: فرَّقَها.

(٥) أيا لقومٍ للنوائب: أي خلقوا للنوائب وهي المصائب ـ الردى: الموت.

(٦) الكسوف: وقوع القمر بين الشمس والأرض؛ والخسوف: وقوع الأرض بين القمر والشمس.

أيـا شَجَـرَ الخـابُـورِ مَـالَـكَ مُـورِقـاً
كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلى ابنِ طَريفِ[1]
فَتىً لا يُحِبُّ الـزادَ إلَّا مِـن التُـقى
وَلاَ المَـالَ إلَّا مْنَ ثَنـاً وسُيـوفِ[2]
ولاَ الخَيْـلَ إلّا كـلَّ جَـرْدَاءَ شِـطَبةٍ
وَكُـلَّ حصـانٍ بـاليَـدَيْنِ غَـروُفِ[3]
فَـلاَ تَجْزَعَـا يـا آبْنَيْ طَـريفٍ فـإنَّني
أرَى المَـوْتَ نَـزَّالاً بكُـلِّ شَـريفِ
فَقَـدْنَـاكَ فُقْـدَانَ الـرَّبيـعَ وَلِيْتَنَـا
فَـدَيْنـاكَ مِن دَهْمـائِنَـا بـأُلُـوُفِ[4]

٨ - عَمـرو بنُ ذُكَيْنَـة:

أحـد الخـوارج ممن عـاصـروا الخليفـة عمـر بن عبد العزيز.

قال في قصيدة موجهة إلى الخلفة:

قُـلْ لِلمُـولىً على الإسْـلامِ مُؤْتَنِفـاً
وَقَـدْ يَـرى أَنَّـه رَثُّ القُـوى وَاهِ[5]

---

(١) الخابور: نوع من الشجر.
(٢) الثنـا: الرماح.
(٣) جرداء: ملساء - شِطْبة: الطويلة الحسنة الخلق,
(٤) الدهماء: الشديدة السواد.
(٥) مُؤْتَنِفاً: مترفعاً رَثّ: بالٍ، خلِقٌ - واهٍ: ضعيف.

أَزْرَى بِــهِ مَـعْشَــرٌ غَــذُّوهُ مَـأْكَـلَةً
بِنَخْـوَةِ الضُّـرِّ والإِنْــزافِ وَالبــاهِ (١)
إنّــا شَــرَيْنــا بــدِينِ اللهِ أَنْـفُسَـنَــا
نَبْغي بِــذَاكَ إليــهِ أَعْـظَمَ الـجـاهِ
نَنْهى الوُلاةَ بِحَدِّ السَّيْفِ عَنْ سَـرَفٍ
كَفَى بِــذَاكَ لَهُمْ مِنْ زَاجِـرٍ نَــاهِ (٢)
فَـإِنْ قَصَـدْتَ سَبْـلَ الحَقِّ يـا عُمَـرُ
آخَــاكَ في اللهِ أَمْثَــالي وأَشْبَــاهي
وإنْ لَحِقْتَ بِقَــوْمٍ كُنْتَ واحِــدَهُمْ
في جَــورِ سِيْـرَتِهِمْ فــالحُكْمُ للهِ (٣)

٢ ـ نماذج نثرية:

١ ـ أبو حمزة الخارجي:

أ ـ حياته وسيرته:

هـو المختار بن عـوف الأزديّ ثم السلميّ من أهـل البصرة، كان يوافي الناس في كل سنة إلى الحاج ويدعو إلى

(١) أزْرَى بِهِ: عابَهُ ـ مأكلة: ما أكل ـ نَخْوَة: حماسة ـ الضُّر: ضد النفع ـ الإنزاف: السُكر.
(٢) سَرَف: إسْراف في الخطأ ـ زاجر: مانع، ناهٍ.
(٣) جور: ظُلم ـ الحكم لله: شعار الخوارج الذي قال لهم علي بن أبي طالب عنه: «كلمةُ حقّ أريد بها باطلاً».

محاربة مروان بن محمد وآل مروان، ولم يزل يختلف كلّ سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى ـ الزعيم الخارجي، الملقب بطالب الحق ـ وذلك سنة ثمان وعشرين ومئة.

قال عبد الله بن يحيى لأبي حمزة: يا رجل، إني أسمع منك كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى حق، فانطلق معي، فإني رجل مطاع في قومي، فخرج به حيت ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة.

في العام الثاني أي تسعة وعشرين ومئة، خرج أبو حمزة إلى مكة بعدد من الخوارج تراوح بين السبع مئة والتسع مئة فارس، واستولى عليها ثم استولى على المدينة.

استمر أميراً على مكة والمدينة لمدة سنة حيث هاجمهم جيش الأمويين وقُتل أبو حمزة وصُلب عام ثلاثين ومئة وظل مصلوباً حتى أفضى الأمر إلى بني العباس، فأنزلت خشبته ودُفنت[1].

ب ـ نموذج ـ خطبة أبي حمزة في أهل المدينة:

بعد استيلائه على المدينة، صعد المنبر متوكئاً على قوس عربته، وقال، بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه (ﷺ): يا أهل المدينة، قد بلغني مقالتكم في أصحابي،

---

(١) الأغاني، أبو الفرج، ج: ٢٣ ص: ٢٢٧ ـ ٢٥٦ .

ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنتُ أدَبكم، وَيْحكم! إن رسول الله ﷺ أُنزل عليه الكتاب، وبُيِّنَ له فيه السنن، وشُرِّع له فيه الشرائع، وبُيّن له فيه ما يأتي وما يذر[1]، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، ولا يُحجم[2] إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه - ﷺ - وقد أدى الذي عليه، لم يَدَعْكم من أمركم في شُبهة، ثم قام من بعده أبو بكر، فأخذ بسُنّته، وقاتل أهل الردة، وشمَّر في أمر الله، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ومغفرته، ثم وُلي بعده عمر، فأخذ بسُنة صاحبيه، وجنّد الاجناد، ومصَّر الامصار، وجبى الفَيء، فقسمه بين أهله، وشمَّر عن ساقه، وحسر عن ذراعه، وضرب في الخمر ثمانين[3]، وقام في شهر رمضان، وغزا العدوّ في بلادهم، وفتح المدائن والحصون، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته، ثم وَلِيَ بعده عثمان بن عفان، فعمل في ست سنين بسنَّة صاحبيه، ثم أحدث أحداثاً أبطل آخرٌ منها أولاً[4]، واضطرب حبل الدين بعدها، فطلبها كل امرىء لنفسه، وأسَرَّ كل رجل منهم سريرةً أبداها الله عنه، حتى مضوا على ذلك،

---

(١) يذر: يترك.

(٢) يُحْجِمُ: يتأخر.

(٣) ضرب في الخمر ثمانين: جَلَدَ شاربها ثمانين جلدة.

(٤) أبطل آخر منها أولاً: أفْسَدَ في آخرها ما كان فعَلَه خيراً في أولها.

ثم وَليَ علي بن أبي طالب، فلم يبلغ من الحق قصداً، ولم يرفع له مناراً ومضى، ثم وَليَ معاوية بن أبي سفيان لعينُ رسول الله ﷺ، وابن لعينه، وحلف من الأعراب، وبقية من الأحزاب، مؤلّف طليق، فسفك الدم والحرام واتخذ عباد الله خوَلا[1]، ومال الله دُوَلا، وبغي دينه عِوَجاً ودغلا[2]، وأحلّ الفرج الحرام، وعمل بما يشتهيه، حتى مضى لسبيله، فعل الله به وفَعَل، ثم وَلِيَ بعده ابنهُ يزيد: يزيد الخمور، ويزيد الصقور، ويزيد الفهور، ويزيد الصيّور، ويزيد القرود، فخالف القرآن، واتبع الكهّان، ونادم القرد، وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعنه الله، وفعل به وفعل، ثم وَلِيَ مروان بن الحكم، طريدٌ لعينُ رسول الله - ﷺ - وابن لعينه، فاسق في بطنه وفرجه، فالعنوه والعنوا آباءه، ثم تداولها بنو مروان بعده، أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله - ﷺ - وقوم من الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين لهم بإحسان، فأكلوا مال الله أكلاً، ولعبوا بدين الله لعباً، واتخذوا عباد الله عبيداً، يورث ذلك الأكبرُ منهم الأصغر فيا لها أمة وأضْيَعها وأضْعَفها! والحمد لله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه

---

(١) خولا: أعداء.

(٢) دغلا: فساداً.

وراء ظهورهم، لعنهم الله، فالعنوهم كما يستحقون، وقد ولي عمر بن عبد العزيز، فبلغ، ولم يَكِدْ، وعجز عن الذي أظهره، حتى مضى لسبيله ـ ولم يذكره بخير ولا شر ـ ثم وَلِيَ يزيد بن عبد الملك، غلام ضعيف سفيه[1] غير مأمون على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشُدّه، ولم يؤانسُ رشدَه، وقد قال الله عز وجل: ﴿فإن آنستم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾[2]، فأمْر أمة محمد في احكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله، وإن كان ذلك عن الله عظيماً، مأبون[3] في بطنه وفرجه، يشرب الحرام، ويأكل الحرام، ويلبس الحرام، ويلبس بردتين قد حيكتا له، وقوِّمتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقل، قد أخذت من غير حلّها، وصرفت في غير وجهها، بعد أن ضُربت فيها الأبشار[4]، وحُلقت فيها الأشعار، واستُحلّ ما لم يُحلَّ الله لعبد صالح، ولا لنبي مرسل، ثم يُجْلس حبّابة عن يمينه، وسلّامة عن شماله[5]، تغنّيانه بمزامير الشيطان، ويشرب الخمر الصُّراح المحرمة نصاً بعينها، حتى إذا أخذت مأخذها فيه، وخالطت روحه

---

(١) السفيه: الجاهل.
(٢) سورة النساء: (آية: ٦).
(٣) مأبون: منشغل.
(٤) الأبشار: أي الجلود.
(٥) حبّابَة وسلّامة: مغنيتان جاريتان.

ولحمه ودمه، وغلبت سَوْرَتُها[1] على عقله مزّق حُليته، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير؟ نعم، فَطِرْ إلى النار، إلى لعنة الله وناره حيث لا يرُدك الله.

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: أصابوا إمرة ضائعة وقوماً طِغاماً[2] جُهالاً، لا يقومون لله بحق، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى، ويرون أن بني أمية أرباب لهم، فملكوا الأمر، وتسلطوا فيه تسلُّط ربوبية، بطشهم بطش الجبابرة، يحكمون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود[3] بالشفاعات، ويؤمِّنون الخَونة، ويُقصون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها، ويضعونها في غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، فالعنوهم، لعنهم الله!

وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين، لكن سمعت رسول الله عز وجل قال في كتابه: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾[4]. شيعةٌ ظاهرت بكتاب الله، وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ

---

(١) سَوْرتها: تأثيرها.

(٢) طِغَام: جُهّال.

(٣) الحدود: المحرّمات الدينية.

(٤) سورة الحجرات: (آية ١٣).

في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب، قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم، غيّاً[1] كان أو رشداً، ضلالة أو هدى، ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدّعون علم الغيب لمخلوق، ولا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها، ويُعلمون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها، جفاة[2] في الدين، قليلة عقولهم، قد قلّدوا أهل بيتٍ من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[3]. فأي الفِرَق يا أهل المدينة تتبعون؟ أو بأي مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغني مقالتكم في أصحابي، وما عبتموه[4] من حداثة سنّهم، وَيْحكم! وهل كان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ المذكورون في الخير إلا أحداثاً شباباً؟ شبابٌ والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء

(١) غيّاً: جهلاً، ضلالة.

(٢) جفاة: جافٍ، جَهَلَة.

(٣) سورة التوبة، (آية: ٣٠).

(٤) عبتموه: عاب الشيء: وجده عيباً.

عبادة[1]، [وأطلاحُ سَهَر، باعوا أنفساً تموت غداً بأنفس لا تموت أبداً][2]، قد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مرّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً، وكلما مرّ بآية من ذكر النار شهق خوفاً، كأن زفير جهنم بين أذنيه، وقد أكلت الأرض جباههم وركبهم، ووصلوا كلال الليل[3] بكلال النهار، مصفرَّةً ألوانهم، ناحلةً أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، أنضاء عبادة، موفون بعهد الله، منجزون لوعد الله، قد شروا أنفسهم، حتى إذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفُوِّقت سهامها[4]، وأُشرعت رماحها لَقُوا شَبا الأسنَّة وشائك السهام، وظبأة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدُما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعُفِّر جبينه بالثرى، وانحطّت عليه الطير من السماء، وتمزّقته سباع الأرض، فكم من عين في منقار طائر، طالما بكى صاحبها في جوف الليل، من خوف الله! وكم من وجه رقيف وجبين عتيق قد فُلقَ بعَمَدِ الحديد. ثم بكى وقال:

---

(١) أنضاء عبادة: جمع نضو، وهو في الأصل البعير المهزول من السفر، والمراد أن العبادة هزلتهم فاغفتهم.

(٢) هذا الجزء غير موجود في الأغاني وقد أثبته أحمد الحوفي في كتابه (أدب السياسة؛ ص٣٢٢ - ٣٢٣).

(٣) كلال: تَعَبْ.

(٤) فوّقت سهامها: رُكّبت في الفوق، وهو موضع السهم من الوتر.

آهٍ، آهٍ على فراق الاخوان! رحمـةُ الله على تلك الأبدان، وادخل الله أرواحهم الجنان[1].

٢ ـ نجدة بن عامر:

أ ـ بعض سيرته:

كان مع نافع بن الأزرق في الأهواز، إلى أن حدث انشقاق فيما بينهم حول مسائل أساسيـة منها: قتـل أطفال المشركين، وتكفيـر القَعَد، وتحريم التقية، فانفصل نجدة عن نافع ومضى بأصحابه إلى اليمامة عام ستة وستين للهجرة، وهناك انقسم عليه أصحابه بعد فترة من الزمن واتبعوا أبا فديك مؤسس الفديكية، وقتلوا نجدة عام ثمانية وستين أو تسعـة وستين للهجرة.

ب ـ نموذج: رسالته إلى نافع بن الأزرق بعد انفصالهما:

كتب نجدة إلى نافع الذي ظل بالأهـواز: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ البر، لا تأخذك في الله لومة لائم، ولا ترى معونة ظالم، كذلك كنت أنت وأصحابك، أما تذكر قولك: «لـولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر رعيته، ما توليت أمر رجلين من المسلمين؟».

---

(١) الأصبهاني ـ الأغاني ـ ج٢٣ ـ (ص٢٤٠ ـ ٢٤٤).

فلما شَرَيْتَ نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبتَ من الحق فصَّهُ[١]، وركبتَ مُرَّهُ، تجرَّ[٢] ذلك الشيطان، ولم يكن أحد أثقلَ عليه وطأةً منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويتَ، فأكفرتَ الذين عذرَهم الله في كتابه من قَعَدِ المسلمين وضعفتهم[٣]، فقال جل ثناؤه وقولُه الحق ووعدُه الصدق: ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعلى الذين لا يجدون ما يُنفقون حرجٌ، إذا نصحوا لله ورسوله، ثم سمّاهم في أحسن الأسماء، فقال: ما على المحسنين في سبيل.

ثم استحللتَ قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن قتلهم، وقال عزّ ذكره: ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وُزْر أخرى﴾ وقال في القعد خيراً: وفضّل الله مَنْ جاهد عليهم، ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه، أوَ ما سمعتَ قوله عز وجل: لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الصَرَرِ[٤]، فجعلهم الله من المؤمنين وفضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم.

ورأيت ألّا تؤدي الأمانة، إلى من خالفَك، والله يأمر أن

---

(١) فصّه: قلبه ولبّه.

(٢) تجرَّ: تجرّأ.

(٣) ضعفتهم: جمع ضعيف، وتاء التأنيث للمبالغة.

(٤) أولي الصّرر: أصحاب المروءة والتقدّم للمجاهدة.

تؤدي الأمانات إلى أهلها، فاتقِ الله وانظر لنفسك، واتقِ يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده، ولا مولودٍ هـو جازٍ عن والده شيئاً، فإنه عزّ ذكره[1] بالمرصاد وحكمه العدل، وقوله الفصـل، والسلام[2].

٣ ـ نافع بن الأزرق:

أ ـ حياته:

كان نافع بن الأزرق على رأس الخوارج الذين ذهبوا إلى الحجاز لنصرة عبد الله بن الزبيـر في حربـه للأمـويين هناك، ولما جاءهم موت يزيد بن معاوية في الشام، توادعوا، فتفرق الخوارج اذّاك عن ابن الزبير لَما بدا لهم من مخالفته إياهم في الرأي والعقيدة، فارتحـل قسم منهمُ إلى البصرة وفيهم نافع بن الأزرق الحنفي، وقسم إلى اليمامة.

ومن البصرة تابع نافع خروجه مع بعض أصحابه الذين أمّروه عليهم سنة أربـع وستين للهجرة، ثم جـرت معركـة «دولاب» في العام نفسه بينه وبين جيش الأمويين، فقتل فيها نافـع.

ب ـ نموذج من رسائله:

بعد انفصال نجدة بن عامر عنه، كتب هذا إلى نافع

---

(١) أي الله.

(٢) الطبري ـ الكامل في اللغة والأدب. ج٢ ـ (ص: ٢٠٩ ـ ٢١٠).

كتاباً[1] يحتج فيه بآيات من القرآن تحرّم قتل الأطفال وتبيح القعود عن الجهاد وتسمح بالتقية.

ردّ نافع على نجدة بكتاب قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني وتنصح لي وتزجرني[2] وتصف ما كنتُ عليه من الحق، وما كنتُ أوثره[3] من الصواب، وأنا أسأل الله عز وجل أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، وعبتَ عليّ ما دنتُ به من إكفار القَعَد وقتل الأطفال، واستحلال الأمانة، فسأفسّر لك لمَ ذلك إن شاء الله.

أما هؤلاء القعدُ فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين، محصورين، لا يجدون إلى الهرب سبيلا، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً. وهؤلاء قد فَقِهوا[4] في الدين، وقرأوا القرآن، والطريقَ لهم نهجٌ واضح، وقد عرفتَ ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم إذ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، فقيل لهم: ألَمْ تكنْ أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها، وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله. وقال: جاء

(١) كتاب نجدة مثبت في الصفحات السابقة من البحث.

(٢) تزجرني: تنهرني.

(٣) أوثره: أعمل به.

(٤) فقهوا: أي عرفوا الفقه.

المعذِّرون[١] من الأعراب ليُؤذَن لهم، فخبَّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسولَه، وقال: سيصيبُ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم، فانظر إلى أسمائهم وسماتهم[٢].

وأما أمر الأطفال، فإن نبيّ الله نوحاً عليه السلام كان أعلَم بالله يا نجدةُ مني ومنك، فقال: ربّ لا تَذَرْ[٣] على الأرض من الكافرين ديّاراً، إنك إن تذرهم يُضِلّون عبادَك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً، فسماهم بالكفر وهم أطفال، وقبل أن يولدوا، فكيف كان ذلك في قوم نوح ولانكون نقوله في قومنا، والله يقول: أَكُفَّارُكم خير من أولئك أم لكم براءَةٌ في الزُبُر[٤]. وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام، وأما استحلال أماناتِ مَنْ خالَفَنا فإنّ الله عز وجل أحَلّ لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم، فدماؤهم حلال طِلْقٌ، وأموالهم فيء للمسلمين، فاتقِ الله وراجعْ نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة، ولن يَسَعك خذلاننا والقعودُ عنا وتركُ ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا، والسلام على من أمَرَ بالحق وعمل به[٥].

---

(١) المعذرون: مفردها: معذِّر، يختلق الأعذار بتبرير ضعفه.

(٢) سماتهم: صفاتهم.

(٣) لا تذر: لا تُبْقي.

(٤) الزُبَر: جمع زبور، وهو السِفر والكتاب.

(٥) الطبري ـ الكامل في اللغة والأدب ـ ج٢ ـ (ص٢١٠ ـ ٢١٢).

خامساً: تأثيرهم في الأدب والناس:

عُرف الخوارج بسعة اطلاعهم، وقوة ثقتهم بأنفسهم وإخلاصهم للمبدأ الذي حملوه، ونجد في كتب التاريخ والأدب أمثلة كثيرة تصور شجاعتهم وتفانيهم، من ذلك ما روي في العقد الفريد من أن الرجل منهم كان إذا طعن فأنفذه الرمح، جعل يسعى نحو قاتله ويقول: «وعجّلت إليك ربِّ لترضى».

وكان عليّ بن أبي طالب يقول لأصحابه في أواخر أيامه: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطاه، كمن طلب الباطل فأدركه» يعني بذلك أن الخوارج كانوا على حق فيما يطلبون ولكنهم أخطأوا في اختيار الطريق، وأن الأمويين كانوا على باطل وقد أدركوه.

ولنستمع إلى عمر بن عبد العزيز يقول لبعض الخوارج: «إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أو متاع، ولكنكم طلبتم الآخرة فأخطأتم سبيلها[1].

---

(١) أحمد أمين ـ فجر الإسلام (ص٢٦٣).

أما عن مقدرتهم على التأثير فيمن حولهم، فيروى أن رجلاً من الخوارج أتي به إلى عبد الملك بن مروان، فحاول إقناعَه وردَّه عن مذهبه، ولكن الرجل قال له: لتغنك الأولى عن الثانية، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمعْ أَقُلْ. قال له: قُلْ، فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزيِّنُ له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بيِّنة ومعان قريبة. فقال عبد الملك بعد ذلك: «لقد كاد يُوقع في خاطري أن الجنة خُلقت لهم وإني أولى بالجهاد منهم»، وأخيراً أمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعدُ يعتذر إليه: «لولا أن تُفسدَ بألفاظك أكثر رعيتي ما حَبَستُك»[1].

وكان الحسن البصري، أحد شيوخ المعتزلة لا يرى رأي الخوارج ولكنه كان يذكر علياً فيقول: «لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين عليٌ رحمه الله يتعرفه النصر، ويساعده الظفر حتى حَكَّمَ، فَلِمَ تُحكِّم والحقُّ معك؟ ألا تمضي قُدُماً، لا أبا لك وأنت على الحق[2]؟.

(١) المبرِّد ـ الكامل ـ (ج٢ ص١٧١).
(٢) م. س. (١٥٩).

خاتمة:

تلك هي مسيرة الخوارج التاريخية والأدبية على مدى قرن ونيف من الزمن، ابتدأت مع بداية الانقسام السياسي ـ الديني، الذي ضَرَبَ بنية المجتمع الاسلامي منذ الخطوات الأول لتركيز أوضاع الدولة الفتية بعد الانتصارات العسكرية ـ الدينية التي حققتها والتي جعلت منها دولة ذات مهابة في تلك الحقبة المتقدمة من تاريخ المنطقة والعالم، وانتهت ـ عملياً ـ بعد استلام العباسيين لأمور الدولة وانهيار الحكم الأموي فيها.

وإذا كنتُ في هذه المحاولة المتواضعة، قد طمحت إلى تقديم صورة واضحة عن هذه الفرقة السياسية ـ الدينية من الناحيتين التاريخية والأدبية، وتقديم شواهد حية عن آثارهم المتبقية شعراً ونثراً، فإنني أسأله عز وعلا أن أكون قد وفقت إلى هذا الهدف وهو الموفق وهو سواء السبيل.

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر :

١ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ الجزء السابع ـ باب «رفض» ـ صادر ـ بيروت.

٢ ـ البستاني، بطرس ـ دائرة المعارف ـ الجزء السابع ـ باب خوارج.

٣ ـ وجدي، محمد فريد ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ/المجلد الثالث ـ باب «خرج» ـ دائرة معارف القرن العشرين.

٤ ـ الأشعري، أبو الحسن ـ مقالات الإسلاميين ـ الجزء الأول ـ تحقيق محي الدين عبد الحميد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ط. ١ ـ ١٩٥٠م ـ ١٣٦٩هـ.

٥ ـ الأصبهاني، أبو الفرج ـ الأغاني ـ طبعة بولاق ـ نشر صلاح الخليل ـ دار الفكر للجميع ـ بيروت ١٩٧٠، والأغاني تصوير مؤسسة جمّال للطباعة ـ بيروت.

٦ ـ ابن خلدون ـ تاريخ ابن خلدون ـ الجزء الثاني والجزء الثالث (دون تاريخ).

٧* ـ البغدادي، عبد القاهر ـ الفَرْقُ بين الفِرَقِ ـ مكتبة محمد

علي صبيح ـ ميدان الأزهر ـ مصر ـ مطبعة المدني ـ القاهرة (دون تاريخ).
٨ ـ البغدادي، عبد القاهر ـ المِلَلُ والنِحَلُ ـ تحقيق وتعليق البير نصر نادر ـ دار المشرق ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.
٩ ـ الشهرستاني ـ المِلَلُ والنِحلُ ـ الجزء الأول ـ تحقيق محمد كيلاني ـ مصر ١٩٦١.
١٠ ـ الطبري، أبو جعفر محمد ـ تاريخ الأمم والملوك ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
١١ ـ المُبرد ـ الكامل في اللغة والأدب ـ الجزء الأول والثاني ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.
١٢ ـ علي بن أبي طالب ـ نهج البلاغة ـ شرح الشيخ محمد عبده ـ مطبعة كَرَم ـ دمشق.
١٣ ـ المسعودي، علي بن الحسين ـ مروج الذهب ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ المكتبة الإسلامية ـ بيروت.
١٤ ـ الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٣.

ب ـ المراجع

١ ـ أدونيس (علي أحمد سعيد) ـ مقدمة للشعر العربي ـ دار العودة بيروت ١٩٧١ .

٢ ـ أمين، أحمد ـ فجر الإسلام ـ لجنة التأليف والنشر والترجمة ـ القاهرة١٩٦٤ .

٣ ـ تامر، عارف ـ القرامطة ـ مكتبة الحياة ـ بيروت (دون تاريخ) .

٤ ـ حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٥ ـ أحمد عبد القادر شيبة ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ـ شركة المدينة للطباعة والنشر ـ جدّة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

٦ ـ الحوفي، أحمد ـ أدب السياسة في العصر الأموي ـ طبعة ثالثة ـ دار النهضة مصر ١٩٦٩ .

٧ ـ زيدان، جرجي ـ تاريخ أداب اللغة العربية ـ الجزء الأول ـ دار الهلال ـ القاهرة ١٩٥٧ .

٨ ـ سرور، محمد جمال الدين ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ـ دار الفكر العربي ـ طبعة ثانية ـ القاهرة ١٩٦٤ .

٩ ـ الشايب، أحمد ـ تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني للهجرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٤٥ .

١٠ ـ ضيف، شوقي ـ العصر الإسلامي ـ دار المعارف بمصر ـ طبعة ثالثة ـ ١٩٦٣ .

١١ ـ ضيف، شوقي ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٥ .

١٢ ـ ضيف، شوقي ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٥ .

١٣ ـ عباس، إحسان ـ شعر الخوارج ـ دار الثقافة ـ بيروت (دون تاريخ) .

١٤ ـ قلماوي، سهير ـ أدب الخوارج في العصر الأموي ـ لجنة التأليف والنشر والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٤٥ .

فهرس الموضوعات